

تبرئة الخليفة العادل

والرد على المجادل بالباطل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَرأَ عَلَيَّ الشَّيخ الفَاضل/ حِمُود بن عَبْد الله بن حِمُود التويجري - مؤلِّفه هَذَا المُسمَّىٰ «تَبْرئة الخَليفَة العَادل والرَّدُّ عَلَىٰ المُجَادل بالبَاطل»، فَوَجدتُهُ قدْ أدَّىٰ واجبًا من الذَّبِّ عَنْ أَمير المُؤْمنين عُمَر بن عَبْد العَزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وردَّ الافْتِرَاءات عَلَيه من استعمالِهِ الأَغَاني المُحرَّمة.

وقَدْ أَتىٰ المُؤلِّف الشَّيخ حِمود بما يَشْفي ويَكْفي، فَجَزاه الله خيرًا ووَفَّقه.

قَالَه الفقيرُ إلَىٰ عَفْو الله/ مُحمَّد بن إبْرَاهيم آل الشَّيخ مفتي الدِّيار السُّعوديَّة ورئيس القضاة.

وصلىٰ الله عَلَىٰ نبينا محمد وآله وأصحابه وسلم

١٢/ ٨/ ١٣٨٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْد لله، نَحْمدُهُ، ونَسْتعينُهُ، ونَسْتغفره، وَنَتُوب إلَيْه، ونَعُوذ بالله من شُرُور أَنْفسنا وسَيِّئات أعْمَالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هَاديَ لَه، وأَشْهد أنْ لَا إلَه إلَّا اللهُ وَحْده لَا شَريكَ لَه، وأَشْهَد أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ المَبْعوث رحمةً وهدًىٰ للعَالَمين، والمَأْمور بمَحْق المَعَازف والمَزَامير، وأوْثَان المُشْركين، صلَّىٰ الله عَلَيه وعَلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ ومَنْ تَبعهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْم الدِّين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

❑ **أمَّا بَعْد:**

فقَدْ رأيتُ نُبذةً بَتْراء في تَرْجمة عُمَر بن عَبْد العَزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعالىٰ- جَمَعها أَحْمد زكي صفوت[(١)]، وقرَّر فيهَا أنَّ عمرَ بن عَبْد العَزيز -رَحمَه اللهُ تَعالىٰ- كَانَ يُغنِّي قَبْل الخلَافَة، ويَصْنع الأَلْحانَ في الغنَاء، واعْتَمَد فِي ذَلكَ عَلَىٰ ما نَقَله صَاحبُ «الأَغَانِي»[(٢)] من الأَكَاذيب فِي ذَلكَ. وقَدْ غَلطَ النَّاقل والمنقولُ عَنْه غلطًا فاحشًا، وأخطأَ كلٌّ منهما خطأً كبيرًا عَلَىٰ أَمير المُؤْمنين عُمَر بن عَبْد العَزيز، حَيْث رَمَياه بمَا هُوَ بريءٌ عَنْه، ومنكرٌ له أشدَّ الإنْكَار.

وقَدْ رأيتُ أَنَّه يَتعيَّن التَّنبيه عَلَىٰ هَذَا القَوْل البَاطل، والذَّب عن أَمير المُؤْمنين عُمَر بن عَبْد العَزيز، وتَبْرئته من هَذَا الإِفْك المبين.

---

(١) أحمد زكي صفوت، ولد في مدينة دمياط، وتوفي في القاهرة، عاش في مصر، تخرج في مدرسة دار العلوم (١٩١٤)، عمل بالتدريس في عدد من المدارس، واختير وكيلًا لكلية دار العلوم (١٩٥٢)، وظل في عمله حتىٰ إحالته إلىٰ التقاعد.

(٢) يعني: أبا الفرج الأصبهاني.

فصل

والَّذي ذكرَ عَنْه المَيْل إِلَىٰ المَعَازِف والغنَاء هُوَ عُمَر بن الوليد بن عبد المَلك بن مَرْوان، لَا عُمَر بن عَبْد العَزيز رَحِمهُ اللهُ تَعالَىٰ.

قَالَ النَّسائيُّ في «سُنَنه الصُّغرىٰ»[(١)]: أَخْبَرنا عَمْرو بن يحيىٰ قَالَ: حَدَّثنا مَحْبوب (يعني: ابْن مُوسَىٰ) قَالَ: أنبَأنا أَبو إسْحَاق (وهُوَ الفَزَاري)، عَن الأوزاعيِّ قَالَ: «كَتبَ عُمَر بن عَبْد العَزيز إِلَىٰ عُمَر بن الوَليد كتابًا -فَذَكره وَفِيهِ- وَإظْهَارك المَعَازف والمِزْمَار بدعةٌ في الإسْلَام، ولقَدْ هَممتُ أنْ أبْعَث إلَيْك مَنْ يجرُّ جُمَّتك جمَّة السُّوء»، إسنادُهُ جيدٌ، وقَدْ رَوَاه أبُو نُعَيم في «الحِلْية»[(٢)] من طَريق المُسيَّب بن واضحٍ عَنْ أَبي إسْحَاق الفَزَاري، عَن الأوزاعيِّ، فَذَكره بمثلِهِ.

ورَوَىٰ أيضًا مِنْ طَريق ضَمْرة بن ربيعةَ، عَن ابْن شَوْذب قَالَ: كَتبَ عُمَر بن عَبْد العَزيز إِلَىٰ عُمَر بن الوَليد أنَّ أظلمَ منِّي وأَخْوَن مَنْ ولَّىٰ قرَّة بن شريكٍ مصرَ أعْرَابي جلف جَاف أَظْهَر فيها المَعَازف[(٣)].

وقَدْ ذَكَره أبُو الفَرَج ابْن الجوزيِّ من حَدِيث سَهْل بن يحيىٰ المروزي قَالَ: أَخْبَرني أَبي عَن عُمَر بن عَبْد العَزيز قَالَ: كَتَبَ عُمر بن عَبْد العَزيز إِلَىٰ عُمَر بن الوَليد بن عَبْد المَلك... فَذكَره، وَفِيهِ: وإنَّ أَظْلمَ منِّي وأَتْرك لعَهْد الله مَن اسْتَعْمل قرَّة بن شَريك أعْرَابيًّا جافيًا عَلَىٰ مصرَ، أَذِنَ لَه في المَعَازف، واللَّهو، والشُّرب.

---

(١) (٤١٣٥)، وقال الألباني: صحيح الإسناد مقطوع.

(٢) (٥/ ٣٠٩).

(٣) «الحلية» (٥/ ٣٠٩).

وَرَوىٰ ابْن أَبي الدُّنيا، وأَبو الفَرَج ابْن الجَوزي[١] من طريقِهِ عَنْ عُمَر بن عُبَيد الله الأَرْموي قَالَ: كَتبَ عُمَر بن عَبْد العَزيز إِلَىٰ مُؤدِّب ولدِهِ: ليكن أَوَّل مَا يَعْتَقدون من أَدَبك بغض المَلَاهي الَّتي بَدْؤها من الشَّيْطان، وَعَاقبتُها سَخطُ الرَّحْمن جلَّ وعزَّ، فإِنَّه بَلَغني عن الثِّقات من حَمَلة العِلْمِ أنَّ حُضُور المَعَازف، واسْتمَاع الأَغَانِي واللَّهج بِهَا يُنْبت النِّفاقَ في القَلْب كَمَا يُنْبت الماءُ العشبَ، وَلَعَمْري لتوقِّي ذَلكَ بتَرْك حُضُور تلكَ المَوَاطن أيْسَر عَلَىٰ ذِي الذِّهْن من الثُّبوت عَلَىٰ النِّفاق فِي قَلْبه.

فهَذَا هو الثَّابت عن عُمَر بن عَبْد العَزيز رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ، أَعْني إِنْكَار الغنَاء، والنَّهْي عنه لا ما يَذْكره صاحبُ «الأَغَانِي» عمَّن هبَّ ودبَّ ممَّن لا يُوثَق بهم، وَلَا يُعْتَمد عَلَىٰ خَبَرهم.

وأيضًا فَصاحبُ «الأَغَانِي» غَيْر موثوقٍ به؛ لأَنَّه شيعيٌّ، والشِّيعةُ من أَكْذَب النَّاس، وقَدْ رَوَىٰ الخطيبُ البغداديُّ عن الحَسَن بن الحُسَين النُّوبخْتِي، أَنَّه قَالَ: كَانَ أَبو الفَرَج الأصبهانيُّ أَكْذَب النَّاس، كَانَ يَدْخل سُوقَ الوَرَّاقين وَهي عامرةٌ، والدَّكَاكين مَمْلوءة بالكُتُب، فيَشْتري شيئًا كثيرًا من الصُّحُف، ويَحْملها إِلَىٰ بيتِهِ، ثمَّ تكُون رواياتُهُ كلُّها منها[٢].

وقَالَ أَبو الفَتح ابْن أَبي الفَوَارس: خَلَط قَبْل موتِهِ.

قَالَ ابْنُ الجوزيِّ: ومثلُهُ لَا يُوثَق به، فإِنَّه يُصرِّح في كُتُبه بمَا يوجبُ العشقَ، ويُهوِّن شُرْبَ الخَمْر، وربَّما حَكَىٰ ذَلكَ نَفْسه. ومَنْ تَأَمَّل كتابَ «الأَغَانِي»، رَأَىٰ

---

(١) في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٩).

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١١/ ٣٩٨).

فيه كلَّ قبيحٍ ومنكرٍ.

قُلْتُ: وقَدْ ذَكَر عَنْه ياقوتُ الحمويُّ في «مُعْجم الأُدَباء» أشياءَ تدلُّ عَلَىٰ فسقِهِ ومُجُونه، ومَنْ كَانَ كذَلكَ، فهو ساقطُ العَدَالة، مَرْدود الرِّوَاية. وما ذَكَره عن عُمَر بن عَبْد العَزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- من الغنَاء، وصنَاعَة الأَلْحَان، فهُوَ ممَّا يَقْطع كلَّ عاقلٍ نبيهٍ أَنَّه كذبٌ مفترًىٰ، والدَّليلُ عَلَىٰ ذَلكَ ما تقدَّم من الآثَار الَّتي ذَكَرنا، فإنَّها دَالَّةٌ عَلَىٰ أنَّ عمرَ بن عَبْد العزيز -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- كَانَ شَديدَ الإنْكَار للغنَاء والمَعَازف.

وأيضًا؛ فالمَعْروف عَنْ عُمَر بن عَبْد العَزيز أَنَّه كَانَ ملازمًا للعُلَماء منذ كَانَ صَغيرًا إِلَىٰ أنْ كَبرَ، ولَمْ يُعْرف بمُعَاشرة أحدٍ من المُغنِّين، ولا مُجَالستهم، فَمَا ذكرَ عَنْه من الغنَاء، وصنَاعَة الأَلْحَان باطلٌ لَا أصلَ له.

وأيضًا؛ فقَدْ أنكرَ عُمَرُ بن عبد العَزيز -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- عَلَىٰ عُمَر بن الوَليد إظْهَاره للمَعَازف والمِزْمَار، وَذكر أنَّ ذَلكَ بدعةٌ في الإسْلَام، وعَرَّض بأَبيهِ الوَليد بن عَبْد المَلك، وأنْكَر عَلَيه إذْ وَلَّىٰ قرَّة بن شَريك عَلَىٰ مصرَ، وأَذِنَ له في المَعَازف واللَّهْو والشُّرْب.

وَمَا كَانَ عُمَر -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- لينكر عَلَىٰ النَّاس شيئًا وهُوَ يَفْعل مثلَهُ، لا سيَّما إنْكَاره فعلَ الوَليد بَعْد موتِهِ، فإنَّه لَوْ كَانَ يغنِّي ويَصْنع الأَلْحَان قبلَ الخلَافة، لمَا أنكرَ عَلَىٰ الوَليد وقُرَّة بن شريك شيئًا قَدْ مَضَىٰ منذ سِنِين كَثيرَةٍ.

فقَدْ دلَّ إنْكَارُهُ عَليهما عَلَىٰ أنَّ ما قيلَ عَنْه من الغنَاء وصنَاعَة الأَلْحَان في زَمَان إمارتِهِ عَلَىٰ المَدينَة كَذبٌ مُفْترىٰ عَلَيه.

وأيضًا؛ فإنَّ الشُّعَراء لمَّا قَدمُوا عَلَىٰ عُمَر -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- لمَّا وليَ الخلَافةَ،

مَنَعَهم من الدُّخُول عَلَيه، ولمَّا قيلَ له فيهم، ذَكَر لأَكْثَرهم أبياتًا في التَّشْبيب بالنِّسَاء، ومَنَعهم من الدُّخُول عَلَيه من أَجْل ذَلكَ.

وإذَا كَانَ عُمَرُ -رَحمَه اللهُ تَعَالىٰ- شديدَ الإنْكَار للتَّشْبيب بالنِّساء، فكَيْف يُقَال: إنَّه كَانَ يُشبِّب بسُعَاد وسعدىٰ، ويَصْنع الألْحَان فِي ذَلِكَ، ويُغنِّي بها؟! هَذَا قولٌ ظاهرُ البُطْلان.

وأيضًا؛ فقَدْ قَالَ الإمامُ أحمدُ رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: حَدَّثنا إسْحَاق بن عيسىٰ الطباع قَالَ: سَألتُ مَالكَ بن أنسٍ عمَّا يَترخَّص فيه أَهْل المَدينَة من الغنَاء، فَقَالَ: إنَّما يفعلُهُ عندنَا الفُسَّاقُ. قَالَ الحافظُ ابْن رَجَبٍ: وَكَذا قَالَ إبْرَاهيمُ بن مُنْذر الحزاميُّ، وهُوَ من عُلَماء أَهْل المَدينَة المُعْتَبرين.

قُلْتُ: ويَلْزم عَلَىٰ قَوْل صَاحب «الأَغَاني» وأَحْمد زكي صفوت أنْ يَكُون عُمَرُ بن عَبْد العَزيز من جُمْلة الفُسَّاق قبلَ أنْ يَلي الخلَافَة.. وهَذَا قولٌ باطلٌ مَعْلوم البُطْلان بالضَّرورة عندَ كلِّ عاقلٍ.

ولَوْ كَانَ ما ذَكَره صاحبُ «الأَغَانِي» صَحيحًا لذَكَره أَهْلُ العِلْمِ بالأَخْبَار كابْن جَرير، وَابْن كَثِيرٍ، وغَيْرهما من أَهْل التَّواريخ الَّذينَ يُوثَق بنقْلهم، وكذَلكَ مَنْ صنَّف فِي أَخْبَار عُمَر بن عَبْد العَزيز كابْن عَبْد الحَكَم، وأَبي الفَرَج ابْن الجَوزيِّ، وغَيْرهما.

وَقَد اسْتَقْصىٰ ابْنُ الجوزيِّ أَخْبَارَ عُمَر بن عَبْد العَزيز، ولَمْ يَذْكر عنه أنَّه كَانَ يغنِّي، وَلَا يَصْنع الأَلْحانَ، ولا يُعَاشر المُغنِّين، ولا يُجَالسهم[1]، وكذَلكَ أَبُو نُعَيم

---

(١) انظر: «تلبيس إبليس» لابن الجوزي.

الأَصْبَهاني، فإنَّه تَرْجم لعُمَر بن عبد العَزيز تَرْجمةً حافلةً في كتَاب «الحِلْيَة»[١]، ولَمْ يَذْكر عنه أنَّه كَانَ يُغنِّي، ولا يَصْنع الأَلْحَان، وَلَا يُعَاشر المُغنِّين، وَلَا يُجَالسهم، فتبيَّن أنَّه لَا أَصْل لمَا ذَكَره صَاحبُ الأَغَانِي، واللهُ أَعْلَم.

فصل

ثمَّ قَالَ صاحبُ «النُّبذة» ما نَصُّهُ: إنَّ أحدًا لا يُمَاري في أنَّ الغناءَ فنٌّ جميلٌ يَتعشَّقه كلُّ إنْسَانٍ بفطرتِهِ، وَتَهيم به كلُّ نفسٍ بطَبيعَتها، يَتُوق إلَيْه الملكُ فِي قَصْره، ويشتاقُهُ الصُّعْلوك في كُوخِهِ، وهُوَ غذاءُ الأَرْوَاح، وسَلْسَبيل القُلُوب، وَصِقَال النُّفُوس، ورَوْضة الأَذْهَان، وهُوَ بَعْدُ متعةٌ مشروعةٌ لا يَأْبَاها الدِّينُ، ولَا تُنْكرها الشَّريعةُ، ما دَامَ لا يكتنفُهُ رفثٌ، وَلَا فُسُوقٌ، وَلَا شرابٌ، دَعْ عنكَ ما يَتشدَّق به المُتزمِّتون من أنَّ الدِّينَ يَحْظره، وأنَّ الشَّرعَ لا يبيحُهُ، وحَسْبنا فِي تَفْنيد زَعْمهم ما وَرَد في الحَديث الشَّريف عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها زَفَّت امرأةً إِلَىٰ رجلٍ من الأنْصَار، فقَالَ نبيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عَائشةُ، ما كَانَ معكُمْ لهوٌ، فإنَّ الأَنْصَارَ يُعْجبهم اللَّهو**»[٢].

وفِي روايةٍ: «**فهلَّا بَعَثتم مَعَها جاريةً تَضْرب بالدُّفِّ وتُغنِّي**»[٣].

وقَالَ صَاحبُ «العِقْدِ الفَريد»[٤]: واحْتجُّوا فِي إبَاحة الغنَاء واسْتحسَانه بقَوْل

---

(١) (٥/ ٢٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٦٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣١٥) (٣٢٦٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقال الألباني في «الإرواء» (٥١): هذا إسناد مسلسل بالضعفاء.

(٤) وهو ابن عبد ربه الأندلسي (٧/ ٨).

النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشةَ: «**أَهْديتُم الفتَاة إلَىٰ بَعْلها؟**»، قَالتْ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَبعثتُمْ مَعَها مَنْ يُغنِّي؟**». قَالَتْ: لَا. قَالَ: «**أوَ مَا علمتِ أنَّ الأنْصارَ قومٌ يُعْجبهم الغزَلُ، ألَا بَعثتُمْ معهَا مَنْ يَقُول:**

أَتينَاكُمْ أَتينَاكُمْ فَحيُّونَا نُحَيِّيكمْ

ولَوْلَا الحبَّةُ السَّمراءُ لَمْ نَحْلُل بِوَادِيكُمْ»(١)

وَاحْتجُّوا بحَدِيثِ عَبْد الله بن أُوَيس ابْن عمِّ مالكٍ، وكَانَ من أفْضَل رجَال الزُّهريِّ، قَالَ: مرَّ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجاريةٍ في ظلٍّ فارعٍ وهِيَ تُغنِّي:

هَلْ عليَّ وَيْحَكم إنْ لَهوتُ من حَرجْ

فقَالَ النَّبيُّ: «**لَا حَرَج إنْ شَاءَ اللهُ**»(٢).

قَالَ صَاحبُ النُّبذة: «فَلَا حَرج -إذًا- عَلَىٰ عمرَ أنْ يَهْوىٰ الغنَاء، ويَصْبو إلَيْه، ولا يَغْتمز ذَلكَ فيه، وَلَا ينقصُ ذَلكَ من دينِهِ وفَضْله، وليسَ ببدعٍ أنْ يَهْفو عمرُ إلَىٰ الغنَاء، ويَشْرب فؤادُهُ حبَّه، وهُوَ قَدْ نشأَ في بيئَةٍ غِنَائيَّةٍ فيَّاضةٍ بالألْحَان والإيقَاع، مُفْعَمة بحُذَّاق المُغنِّين والمُغنِّيات».

إلَىٰ أنْ قَالَ: «وَقَد سَبقت المَدينَة سَائر المَدَائن الإسْلَاميَّة إلَىٰ الغنَاء، وَشَاع اللَّهْوُ والقَصْفُ بَيْن أَهْلها».

---

(١) أخرجه بنحوه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣١٥) (٣٢٦٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٩٩٥).

(٢) أخرجه ابن عساكر (١٢/ ٤١٥) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقال الألباني في تخريج أحاديث «أداء ما وجب» (١/ ١٥٠): باطل.

ثمَّ ذَكَر جملةً من المُغنِّين والمُغنِّيات، ومَنْ كَانَ يُغنِّي لهُمْ من قريشٍ.. إِلَىٰ أن قَالَ: وهَذِهِ شذرةٌ تُصوِّر لَكَ الحَيَاة الغنائيَّة بالمَدينَة في ذَلكَ العَهْد، وَتُريك أنَّ حياةَ المَرَح، واللَّهو، والطَّرب كَانَت تُسَاير فيهَا حَيَاة الفِقْهِ، والحَدِيثِ، والوَرَع، والتَّقْوىٰ جنبًا لجَنْبٍ.

قَالَ: وَأَكْثَر من ذَلكَ أنَّ بَعْضَ كبَار الأئمَّة في المَدينَة كَانَ له مُشَاركةٌ حسنةٌ في هَذَا الفنِّ الجَميل. وَهَاك استمعَ لصَاحب الأَغَانِي يُحدِّثك عن الإمَام مَالك بن أنسٍ صَاحِبِ المَذْهب المَالكي.

قَالَ حُسَين بن دحمان الأشْقَر: كُنْت بالمَدينَة، فَخَلا لي الطَّريقُ وَسط النَّهار، فَجَعلتُ أَتَغنَّىٰ بصَوْتٍ، فَإذَا خَوْخةٌ قَدْ فتحتْ، وإذَا وجهٌ قَدْ بدَا تتبعه لحيةٌ حَمْراء، فقَالَ: أَسَأت التَّأدية، وَمَنَعت القَائلَة، ثمَّ انْدَفع يغنِّيه، فَظَننتُ أنْ طُويسًا قَدْ نشرَ بعَيْنه، فقُلْت له: أَصْلَحك اللهُ، من أيْن لَكَ هَذَا الغناء؟ قَالَ: نَشَأت وأنا غلامٌ حدثٌ أَتَّبع المُغنِّين، وآخُذُ عَنْهم، فقَالتْ لي أُمِّي: يَا بني، إنَّ المُغنِّي إذَا كَانَ قبيحَ الوَجْه، لَمْ يُلْتفت إلىٰ غنائِهِ، فَدَع الغناءَ، وَاطْلب الفقهَ، فإنَّه لا يضرُّ مَعَه قبحُ الوَجْه، فَتَركتُ المُغنِّين، وَاتَّبعتُ الفُقَهاء، فبلَغ اللهُ بي عَزَّوَجَلَّ ما تَرَىٰ، فقُلْتُ لَه: فأعد جُعِلْتُ فدَاءَك. قَالَ: لَا، وَلَا كَرَامة، أتريدُ أنْ تَقُول أَخذته عَنْ مَالك بن أَنسٍ؟ وإذَا هُوَ مَالك بن أنسٍ، ولَمْ أَعْلم.

قَالَ صَاحبُ «النُّبذة»: وَمِلَاكُ القَوْل أنَّ عُمرَ بن عَبْد العَزيز نَشَأ في ظلَال هَذِهِ الأَريكَة الفنانة، وَسَمع بلَابلهَا المُغرِّدة، وأطْيَارها المَرنة، وَوَهَب اللهُ له حَنْجرةً مُوسيقيَّةً، فَشَدا وَلَحن وتَغنَّىٰ وتَرنَّم.

هَذَا حَاصلُ مَا ذَكَره صَاحبُ «النُّبذة».

ونَقُول وبِاللهِ التَّوْفيقُ:

أَمَّا قَوْله: إنَّ أحدًا لا يُمَاري في أنَّ الغناءَ فنٌّ جميلٌ.

فَجَوابُهُ من وُجُوهٍ:

أَحَدُها: أنْ يُقَالَ: إنَّ المُعَارضينَ لما ذكره أَكْثر من أنْ يُحْصيهم كتابٌ، وكلُّ مَنْ تَمسَّك بالكتَاب والسُّنَّة منذ عَصْر الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إلَىٰ زَمَاننا هَذَا، فَإنَّه يُعَارض هَذَا القَوْل المَأْفون بالرَّدِّ والإنْكَار، وإمَام المُعَارضينَ لهَذَا القَوْل البَاطل رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقَدْ ثبتَ عَنْه أنَّه نَهَىٰ عن المِزْمَار والغنَاء، وسَمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، وأَخْبَر أنَّه صوتٌ ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة.

فأمَّا النَّهي عَنْه، وتَسْميته الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، فَرواه وَكيع بن الجَرَّاح عَن ابْن أَبي لَيْلىٰ، عَنْ عَطَاء، عَنْ جَابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**نهيتُ عَنْ صَوْتين فَاجرَيْن؛ صوتٍ عندَ مُصيبَة، خَمْش وَجْه، وَشَق جُيُوب، وصَوْت عندَ نِعْمَة، لَعب، ولَهْو، وَمَزَامير الشَّيْطان**»، إسنادُهُ حسنٌ.

وقَدْ رَوَاه أَبو دَاوُد الطَّيالسيُّ فِي «مُسْنده»(١)، فَقَالَ: حَدَّثنا أَبو عَوانةَ عَن ابْن أَبي لَيْلىٰ، عَنْ عَطَاء، عَنْ جَابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: خَرج رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلَىٰ النَّخْل، وَمَعه عَبْد الرَّحمن بن عوف، فَانْتَهىٰ إِلَىٰ ابنِهِ إبْرَاهيم وهُوَ يَجُود بنفْسه، فَوَضع الصَّبيَّ فِي حِجْره، فبكَت عَائشةُ، فَقَالَ له عَبْد الرَّحمن: أَتنْهَانا عَن البُكَاء؟!

---

(١) (٣/ ٢٦٢) (١٧٨٨).

قَالَ: «**لَمْ أَنْه عَن البُكَاء، إِنَّما نهيتُ عَنْ صَوْتين فَاجرَيْن، صَوْت مِزْمَارٍ عندَ نعمةٍ، مِزْمَار شَيْطان، وَلَعب وصَوْت عندَ رنَّة مُصيبَة شَق الجُيُوب، ورَنَّة شَيْطَان وإنَّما هَذِهِ رَحْمةٌ**»، إسنادُهُ حسنٌ.

وَرَوَاه التِّرمذيُّ في «جامعِهِ»(١)، فقَالَ: حَدَّثنا عليُّ بن خشرم، أَخْبَرنا عِيسَىٰ بن يُونُس، عَن ابْن أَبي لَيْلىٰ، عَنْ عطَاء، عَنْ جَابر بن عَبْد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخذ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَد عَبْد الرَّحْمَن بن عوفٍ، فَانْطَلَق به إِلَىٰ ابنِهِ إِبْرَاهيم، فَوَجَده يَجُود بنفسِهِ، فَأَخذه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَه في حِجْره، فَبكَىٰ، فقَالَ له عَبْد الرَّحْمن: أَتبْكي؟! أَوْ لَمْ تكنْ نَهيت عن البُكَاء؟ قَالَ: «**لا، وَلَكن نهيتُ عَنْ صَوْتين أَحْمَقين فَاجرَين؛ صَوْت عند مُصيبةٍ، خَمْش وُجُوه، وَشَق جُيُوب، ورَنَّة شَيْطان**»، قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حَديثٌ حَسنٌ. قَالَ: وفِي الحَدِيثِ كلامٌ أَكْثر من هَذَا.. يشير إِلَىٰ أَنَّه لَمْ يذكر بَاقي الحَديث، وهُوَ ما فِيهِ من ذِكْرِ اللَّهْو، واللَّعب، وَالمَزَامير عندَ النِّعْمَة.

وَقَدْ رَوَاه الحَاكمُ في «مُسْتدركِهِ»(٢) من طَريق إِسْرَائيلَ عَنْ مُحمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن ابْن أَبي لَيْلىٰ، عَنْ عَطَاء، عَنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ عَبْد الرَّحمن بن عوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَخذ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدي، فَانطَلقتُ مَعَه إِلَىٰ إِبْرَاهيم ابنِهِ، وهو يَجُود بنفْسِهِ، فأَخذه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجْره حَتَّىٰ خَرجَتْ نفسُهُ. قَالَ فَوَضَعه وَبَكىٰ، قَالَ: فقُلْت: تَبْكي يا رَسُولَ الله وأَنْتَ تَنْهىٰ عن البُكَاء. قَالَ: «**إِنِّي لَمْ أَنْه عن البُكَاء، وَلكنِّي نهيتُ عَن صَوْتين أَحْمَقَين فَاجرَين؛ صَوْت عندَ نِعْمَة لهوٍ ولعبٍ**

---

(١) (١٠٠٥)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢١٥٧).

(٢) (٤/ ٤٣) (٦٨٢٥).

وَمَزَامير الشَّيْطان، وصَوْت عندَ مُصيبَة لَطْم وُجُوه، وَشَق جُيُوب، وهَذِهِ رَحْمةٌ، ومَنْ لا يَرْحم لا يُرْحَم...» الحَديث.

قَالَ ابْن القيِّم رحمه الله تَعَالىٰ: «فَانْظُر إِلَىٰ هَذَا النَّهي المُؤكَّد بتَسْميته صَوْت الغنَاء صَوتًا أَحْمَق، ولَمْ يَقْتصر عَلَىٰ ذَلكَ حَتَّىٰ وَصَفه بالفُجُور، ولَمْ يَقْتصر عَلَىٰ ذَلكَ حَتَّىٰ سَمَّاه من مَزَامير الشَّيْطان، وقَدْ أقرَّ النَّبيُّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أبَا بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَلَىٰ تَسْمية الغنَاء مَزْمور الشَّيْطان في الحَدِيثِ الصَّحيح، فإِنَّ لَمْ يُسْتفد التَّحْريم من هَذَا، لَمْ نَسْتَفده من نَهْي أبدًا.

قَالَ: وَقَد اختلفَ في قَوْله: «**لا تَفْعل**»، وقَوْله: «**نَهيت عَنْ كَذَا**»، أَيُّهما أبلغُ في التَّحْريم؛ لأنَّ «**لا تَفْعل**» يحتملُ النَّهي وغَيْره بخلاف الفِعْلِ الصَّريح، فكَيْف يَسْتَجيز العَارف إباحَةَ ما نَهَىٰ عنه رَسُولُ الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وسَمَّاه صوتًا أَحْمقَ فَاجِرًا، ومَزْمور الشَّيْطان، وَجَعَله والنِّياحة الَّتي لعن فَاعلهَا أَخوين، وأَخْرج النَّهي عَنْهما مخرجًا وَاحدًا، وَوَصَفَهما بالحُمْق والفُجُور وصفًا وَاحدًا»[١]. انْتَهَىٰ.

وروَىٰ الإمامُ أَحْمد والبخاريُّ في «تاريخِهِ»[٢] بأسانيدَ جيدةٍ عن مُعَاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسُول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَهَىٰ عَنْ تسعٍ، وَذَكر مِنْها الغنَاء.

وأَمَّا لَعْنُ الغنَاء والمِزْمَار، فَرواه البَزَّارُ من حَدِيثِ أَنَس بن مالكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ:

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٥٤).

(٢) (٧/ ٢٣٤)، أما رواية أحمد فهي بلفظ: «خطب الناس معاوية بحمص فذكر في خطبته: أن رسول الله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حرَّم سبعة أشياء، وأني أبلغكم ذلك وأنهاكم عنه: منهن النوح، والشعر، والتصاوير، والتبرج، وجلود السباع، والذهب، والحرير»، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٧٢٥).

قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَوْتان مَلْعونان فِي الدُّنيا والآخرة: مِزْمار عندَ نِعْمَة، ورَنَّة عندَ مُصيبةٍ**»(١).

قَالَ المُنْذريُّ والهَيْثميُّ: رواتُهُ ثقاتٌ.

وقَدْ رَوَاه الحافظُ الضِّياء المقدسيُّ في كتابِهِ «المُخْتارة»(٢)، وهو ما اخْتَاره من الأَحاديث الجِيَادِ الزَّائدة عَلَىٰ ما في «الصَّحيحَيْن».

قَالَ شَيْخُ الإسْلَام أبو العَبَّاس ابْن تَيْمية رحمه الله تَعالَىٰ: «وهو أَعْلىٰ مَرْتبة من تَصْحيح الحَاكم، وهُوَ قريبٌ من تَصْحيح التِّرمذيِّ وَأَبي حَاتم البستي، ونَحْوهما، فإنَّ الغلطَ فِي هَذَا قليلٌ، ليسَ هُوَ مثل تَصْحيح الحَاكم»(٣). انْتهىٰ.

قَالَ القُرْطبيُّ وغيرُهُ: فِي هَذَا الحَدِيثِ دِلَالةٌ عَلَىٰ تَحْريم الغنَاء، فإنَّ المزمارَ هُوَ نَفْس صَوْت الإنْسَان، يُسمَّىٰ مِزْمارًا كَمَا في قَوْله: «**لقَدْ أُوتيتَ مزمارًا من مَزَامير آل داود**»(٤).

قُلْتُ: المِزْمارُ يُطْلق ويُرَاد به الصَّوْت الحَسَن كَمَا في قَوْله: «**لقَدْ أُوتيتَ مزمارًا من مَزَامير آل دَاوُد**»، ويُطْلق ويُرَاد به الغنَاء كَمَا في «الصَّحيحَيْن»، وغَيْرهما عَنْ عائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخل عليَّ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعِنْدِي جَاريَتان تُغنِّيان بغناءِ بُعَاث، فَاضْطَجع عَلَىٰ الفِرَاشِ، وحَوَّل وَجْهه، وَدَخل أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَانْتَهرني وقَالَ: مِزْمَار

---

(١) أخرجه البزار (٧٥١٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٢٧).

(٢) (٦/ ١٨٨) (٢٢٠٠).

(٣) «الرد على الإخنائي» (١٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣) من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشَّيْطان عندَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... الحَديث(١).

ويُطْلق ويُرَاد به الآلَة الَّتي يزمرُ بِهَا كَمَا سَيأتي في حَدِيثِ ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي زمارة الرَّاعي. وكذَلكَ كلُّ مَا له نغمةٌ وصوتٌ مطربٌ كالجَرَس؛ لحَدِيثِ أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفوعًا: «**الجرسُ مَزَامير الشَّيْطان**»(٢)، وكذَلكَ الدُّفُّ وَسَائر آلاتِ اللَّهْو والطَّرب، فكُلُّها من مَزَامير الشَّيْطان، وكَمَا أنَّ اللَّعن يَتناول صَوْتَ آلاتِ اللَّهو، وصَوْتَ الغنَاء، فكذَلكَ التَّحْريمُ شَاملٌ لهُمَا، واللهُ أَعْلَم.

وقَدْ ذَكَرتُ أَقْوالَ الصَّحَابة والتَّابِعِين وَتَابعيهم في ذَمِّ الغنَاء، والمَنْع عنه في كِتَابي «فَصْل الخطَاب في الرَّدِّ عَلَىٰ أَبي تُرَابٍ»، فَلْتُراجَع هُنَاكَ.

وَذَكرتُ أيضًا أَقْوالَ الأئمَّة الأَرْبعَة: مَالك، وَأَبي حَنيفَة، والشَّافعي، وأَحْمَد في ذَلكَ، وَمَا حَكَاه غيرُ واحدٍ من الإجْمَاع عَلَىٰ تَحْريم الغنَاء، والمَنْع منه، وفِي ذَلكَ ردٌّ لقَوْل صَاحب «النُّبْذة»: إنَّ أحدًا لَا يُمَاري في أنَّ الغناءَ فنٌّ جميلٌ.

الوَجْه الثَّانِي أنْ يُقَالَ: كيفَ يَكُونُ الغناءُ فنًّا جميلًا، والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَهَىٰ عنهن وسَمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، وأَخْبر أنَّه صوتٌ ملعونٌ في الدُّنيا والآخرة.

لَا شكَّ أنَّ القولَ بهَذَا مُحَادة لله تَعَالىٰ، ولرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّ الصَّوتَ الأَحْمَق الفَاجر لا يَكُونُ جَميلًا، وإنَّما يَكُونُ قَبيحًا، وكذَلكَ المَلْعون في الدُّنيا والآخرَة لَا يَكُون جَميلًا، وإنَّما يَكُون من القَبَائح.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٩)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢١١٤).

الوَجْه الثَّالث: أنَّ الغناءَ صوتُ الشَّيْطان ومِزْمَاره، والشَّيْطان أَقْبَح من كلِّ قبيحٍ، وأفعالُهُ أَقْبَح الأفْعَال، فالغناءُ -إذًا- فنٌّ قبيحٌ بلا شكٍّ.

الوَجْه الرَّابع: إنَّ اللهَ تَعَالىٰ قَالَ في صفَة رَسُولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وَقَد ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّه نَهىٰ عن الغناء والمَزَامير.

وَأَخْبَر صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّه يَكُون في أُمَّته أقْوَامٌ يَستحلُّون المعازفَ، والنَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إنَّما كَانَ يَنْهىٰ عن مَساوئ الأَخْلَاق ومَذامِّها، لَا عن مَحَاسنها، والجَميل مِنْهَا.

وعَلَىٰ هَذَا، فالغناءُ فنٌّ قبيحٌ خبيثٌ؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَدْ نَهىٰ عَنْه، وحَرَّمه.

الوَجْه الخَامس: أنَّ اللهَ تَعَالىٰ ذمَّ الغناءَ في آيَاتٍ من كتابِهِ، وما ذَمَّه اللهُ تَعَالىٰ، فهُوَ قبيحٌ بلا شكٍّ.

الآيةُ الأُولَىٰ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]، الآية. قَالَ ابْنُ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: هُوَ -واللهِ- الغناءُ.

وفِي رِوَايةٍ عَنْه: هُوَ الغناءُ واللهِ الَّذي لَا إلَه إلَّا هو. يُردِّدها ثلاثَ مَرَّات. رَوَاه ابْن أَبي شيبةَ وابْن جَريرٍ، والحَاكم بأَسَانيد صَحيحَةٍ(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٩) (٢١٥٣٧)، وابن جرير (٢٠/ ١٢٧)، والحاكم (٢/ ٤٤٥) (٣٥٤٢).

وكذا قَالَ جَابر بن عَبْد الله، وابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومُجَاهد وعِكْرمة والحَسَن وسَعيد بن جُبَير وقَتَادة وإبْرَاهيم النَّخَعي وَحَبيب بن أبي ثَابتٍ ومَكْحول وعَمْرو بن شُعَيب، وعليُّ بن بَذِيمَةَ؛ أنَّ لَهْو الحَدِيثِ: هُوَ الغناءُ.

الآيةُ الثَّانية قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، قَالَ مجاهدٌ: صَوْته الغنَاء وَالبَاطل.. رَوَاه ابْن أَبي حَاتم بإسنادٍ حسنٍ. وفِي روايةٍ عَنْه قَالَ: صوتُهُ هُوَ المَزَامير.. رَوَاه ابْن أَبي حَاتم[1] بإسنادٍ صحيحٍ. وفِي روايةٍ عَنْه قَالَ: هُوَ الغناءُ والمزاميرُ.. رَوَاه ابْن الجَوزي[2] بإسنادٍ حسنٍ. وعَنْه أنَّه قَالَ: هو اللَّهو والغنَاء.. رَوَاه ابنُ جريرٍ[3] بإسنادٍ حسنٍ.

الآيةُ الثَّالثةُ: قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. قَالَ مُحمَّد بن الحنفيَّة: الزُّور: اللَّهو والغنَاء. وقَالَ مجاهدٌ في قَوْله: ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ قَالَ: لا يَسْمَعون الغناءَ. وقَالَ ثَعْلب: الزُّور هنا مَجَالس اللَّهو. وقَالَ الزَّجَّاج: قيلَ: الزُّور ههنا مجالسُ الغنَاء.

ورَوَىٰ ابنُ جَرير وَابْن أَبي حَاتمٍ عَنْ إبْرَاهيم بن مَيْسرة أنَّ ابْنَ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرَّ بلَهْو، فلَمْ يَقِفْ، فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لقَدْ أصبحَ ابْن مَسْعود، وأَمْسَىٰ كريمًا**»، ثمَّ تَلَا إبْرَاهيم بن مَيْسرة: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[4].

---

(١) في «تفسيره» (١٣٣٣٥).

(٢) في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٧).

(٣) في «تفسيره» (١٤/ ٦٥٧).

(٤) رواه الطبري بنحوه في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٤٦٤)، بإسناد ضعيف؛ للانقطاع بين إبراهيم بن ميسرة الطائفي وعبد الله بن مسعود.

الآيَة الرَّابعةُ: قَوْله تَعَالىٰ: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١].

قَالَ الجوهريُّ: السُّمُود: اللَّهوُ، والسَّامدُ اللَّاهي والمغنِّي. يُقَال للقينَة: أَسْمِدِينا، أي: أَلْهينا بالغناء وغَنِّينا.

وقَالَ ابْنُ مَنْظور في «لِسَانِ العَرَب»[1]: سَمَد سُمُودًا: لَهَىٰ، وَسَمده أَلْهَاه، وَسَمد سُمُودًا غنَّىٰ. قَالَ ثعلبٌ: وَهي قليلةٌ. وقَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ فُسِّر باللَّهو، وفُسِّر بالغنَاء، ويقَال للقينَة: أَسْمدينا أي: أَلْهينا بالغنَاء، انْتهَىٰ.

وَرَوىٰ ابْنُ أَبي الدُّنيا[2]، وَأَبو الفَرَج ابْن الجَوزيِّ[3] من طَرِيقِهِ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ قَالَ: هو الغنَاء بالحِمْيريَّة. يقَال: أَسْمدي لنا، أي: غنِّي لنَا. قَالَ أبو الفَرَج، وقَالَ مُجَاهدٌ: هُوَ الغناءُ، يَقُول أَهْلُ اليَمَن: سَمد فلانٌ إذا غنَّىٰ، وَكَذا حَكىٰ أبو العبَّاس القرطبيُّ عَنْ مُجَاهد أنَّه قَالَ: هو الغناءُ بلُغَة أَهْل اليَمَن.

وقَالَ أَبُو زبيدٍ:

وكَأَنَّ العزيفَ[4] فيهَا غناء ... للندامىٰ[5] من شارب مسمود

---

(١) (٣/ ٢١٩).

(٢) في «ذم الملاهي» (ص٤٢) رقم (٣٣).

(٣) في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٧).

(٤) العزيف: يقال: إنه صوت الجن.

(٥) ندامىٰ: جمع؛ من مفرداته: ندمان، وهو: المؤانس في مجلس الشراب.

قَالَ أَبُو عُبَيدة: المَسْمود الَّذي غنِّي لَه. وقَالَ عِكْرِمةُ: كَانوا إذَا سَمعوا القرآنَ، تَغنَّوا فَنزلَتْ هَذِهِ الآية.

وإذَا كَانَ الغناءُ بهَذِهِ المثابة من الذَّمِّ، فهو فنٌّ قبيحٌ، وليسَ بجميلٍ.

الوَجْه السَّادس: أنَّ الغناءَ يُنْبت النفاقَ في القَلْب.. قَالَه ابنُ مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإبْرَاهيم النَّخَعي، وعُمَر بن عَبْد العَزيز ومَكْحول والإمَام أَحْمَد. ومَا كَانَ منبتًا للنِّفَاق فهُوَ فنٌّ قبيحٌ.

الوَجْه الثَّامن: أَنَّ الغنَاء مَسْخطة للرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.. قَالَه الضَّحَّاك، كَانَ مفسدًا للقَلْب فهُوَ فنٌّ قبيحٌ.

الوَجْه الثَّانِي من الغنَاء مَسْخطة للرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.. قَالَه الضَّحَّاك وعُمَر بن عَبْد العَزيز، وإنَّما كَانَ مسخطةً للرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لأنَّه يصدُّ عن ذِكْرِه وطَاعَته، ومَا كَانَ مَسْخطة للرَّبِّ فهُوَ مرضاةٌ للشَّيطان، وذَلكَ قبيحٌ عَلَىٰ كلِّ حالٍ.

الوَجْه التَّاسع: أنَّ الغناءَ رُقْية الزِّنا. وقَدْ ذَكَر القَاضي مُحمَّد بن المظفَّر الشَّامي الشَّافعي عَن ابْن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: الغناءُ خُطْبَة الزِّنا.

وَذَكر ابْنُ القيِّم -رَحمَهُ الله تَعالىٰ- عَنْه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قَالَ: الغناءُ رُقْية الزِّنا[1].

وقَالَ ابْنُ أبي الدُّنيا: أَخْبَرنا الحُسَين بن عبد الرَّحمن قَالَ: قَالَ فُضَيل بن عياضٍ: الغناءُ رُقْية الزِّنا[2].

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤٠).

(٢) «ذم الملاهي» (ص٥٥).

وقَالَ ابْنُ أَبي الدُّنيا أيضًا: أَخْبَرني مُحمَّد بن الفَضْل الأزديّ قَالَ: نَزلَ الحطيئة برجلٍ من العَرَب ومَعَه ابنتُهُ مُليكةُ، فلَمَّا جنَّه اللَّيلُ سمعَ غناءً فقَالَ لصاحبِ المَنْزل: كفَّ هَذَا عنِّي. فقَالَ: وما تَكْره من ذَلكَ؟ فقَالَ: إنَّ الغناءَ رائدٌ من رادة الفُجُور، ولا أحبُّ أنْ تَسْمعه هَذِهِ؛ يَعْني ابْنَته، فإنْ كَفَفته وإلَّا خَرجتُ عَنْك(١).

وقَالَ ابْنُ أَبي الدُّنيا أيضًا: أَخْبرنا الحُسَين بن عَبْد الرَّحمن قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيدة مَعْمر بن المُثنَّىٰ: جَاوَر الحُطَيْئَة قومًا من بني كلب، فَمَشَىٰ ذُو النُّهي منهم بَعْضهم إِلَىٰ بعضٍ وَقَالوا: يا قومُ، إنَّكم قَدْ رُميتُمْ بدَاهية هَذَا الرَّجل شَاعر، والشَّاعر يظنُّ فيحقق وَلَا يَسْتأني فيَتثبَّت، وَلا يأخُذُ الفَضْل فيَعْفو فَأْتوه وهُوَ في فناء خبائِهِ، فَقَالوا: يا أبَا مليكة، إنَّه قَدْ عَظم حَقُّك علَينا بتَخطِّيك القَبَائل إلَيْنا وقَد أَتَيْناك لنَسْألك عمَّا تحبُّ فنَأْتيه وعمَّا تكْره فنَزْدجر عَنْه، فقَالَ: جَنِّبوني نَدي مَجْلسكم، وَلَا تُسْمعوني أغَاني شَبيبتِكُمْ، فإنَّ الغناءَ رُقْية الزِّنا(٢).

قَالَ ابْنُ القيِّم رحمه الله تعالىٰ: فإِذَا كَانَ هَذَا الشَّاعر المَفْتون اللِّسان الَّذي هَابَت العَربُ هِجَاءَه خافَ عَاقبةَ الغنَاء، وأنْ تَصلَ رُقْيته إِلَىٰ حُرْمته، فَما الظَّنُّ بغَيْره.

ولَا ريبَ أنَّ كلَّ غيورٍ يجنِّب أَهْله سماعَ الغنَاء كَمَا يُجنِّبهنَّ أَسْبابَ الرَّيب. ومن طَرَّق أَهْله إِلَىٰ سَمَاع رُقْية الزِّنا، فهُوَ أَعْلم بالإثم الَّذي يستحقُّه(٣). انْتهَىٰ.

---

(١) «ذم الملاهي» (ص٥٢).

(٢) «ذم الملاهي» (ص٥٦).

(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤٦).

وذَكَر ابْن أَبِي الدُّنيا، وأَبُو الفَرَج ابْن الجوزيِّ عَنْ خَالد بن عَبْد الرَّحمن قَالَ: كُنَّا فِي عَسْكر سُلَيمان بن عَبْد المَلك، فَسَمع غناءً من اللَّيل، فأرسلَ إلَيْهم بكرةً، فَجيء بِهِمْ إلَيْه، فقَالَ: إنَّ الفَرَسَ لَيَصهل فتَسْتودق له الرَّمَكَةُ[١]، وإنَّ الفحلَ لَيَهْدر فَتضبَع لَه النَّاقة، وإنَّ التَّيس لينبَّ فتَسْتحرِمُ لَه العَنَز، وإنَّ الرَّجل ليَتغنَّىٰ فتَشْتاق إلَيْه المَرْأة، ثمَّ قَالَ: اخْصُوهم. فقَالَ عمرُ بن عبد العزيز: هَذِهِ المُثْلة، ولا تحلُّ، فخلِّ سَبيلهم. قَالَ: فَخلَّىٰ سَبيلَهم[٢].

وَرَوىٰ أَبُو الفرج أيضًا بإسنادِهِ عَنْ معن بن عبد الرَّحمن بن أَبِي الزِّناد عن أَبِيهِ قَالَ: كَانَ سُلَيمان بن عَبْد المَلك في باديةٍ له، فَسَمر ليلةً عَلَىٰ ظهر سَطْح، ثمَّ تَفرَّق عنه جُلَساؤه فَدَعا بوضوءٍ فَجَاءتْ به جاريةٌ له، فبَيْنما هي تصبُّ عَلَيه، إذْ استمدَّها بيدِهِ، وأَشَار إليها فإِذَا هي ساهيةٌ مصغيةٌ بسَمْعها، مائلةٌ بجَسَدها كلِّه إِلَىٰ صوتِ غنَاء تَسْمعه في نَاحيَة العَسْكر، فأَمَرها فَتنحَّت واسْتَمَع هو الصَّوت، فإِذَا صوتُ رجلٍ يغنِّي فأَنْصَت له حَتَّىٰ فَهم ما يُغنِّي به من الشِّعر، ثمَّ دَعَا جاريةً من جَواريه غَيْرها، فتَوضَّأ فلمَّا أَصْبَح أذن للنَّاس إذنًا عامًّا، فلمَّا أَخَذوا مَجَالسهم، أَجْرىٰ ذِكْر الغنَاء، ومَنْ كَانَ يسمعُهُ، وَلين فِيهِ حَتَّىٰ ظنَّ القَوْم أنَّه يَشْتهيه، فأَفَاضوا فِي التَّليين والتَّحليل والتَّسهيل فقَالَ: هَل بَقي أحدٌ يَسْمع منه، فَقَامَ رجلٌ من القَوْم فقَالَ: يا أَمير المُؤْمنين، عندِي رَجُلان من أَهْل أيْلَة حَاذقَان.

قَالَ: وأيْن مَنْزلك من العَسْكر؟ فأَوْمأ إِلَىٰ النَّاحية الَّتي كَانَ الغناءُ مِنْها، فقَالَ

---

(١) الرَّمَكَة: الفَرَسُ والبِرْذَونة تُتَّخذُ للنَّسل، وَالجمع: رَمَك، وأَرماك.

(٢) «ذم الملاهي» (ص٥٢).

سُلَيمان: يَبْعث إلَيْهما، فَوَجد الرَّسولُ أَحَدهما فأَقْبل به حَتَّىٰ أَدْخله عَلَىٰ سُليمان، فقَالَ له: ما اسْمُك؟ قَالَ: سَميرٌ، فَسَأله عن الغنَاء كيفَ هُوَ فيه، فقَالَ: حاذقٌ محكمٌ. قَالَ: وَمَتىٰ عَهْدك به؟ قَالَ: في لَيْلتي هَذِهِ المَاضية. قَالَ: وفي أيِّ نَوَاحي العَسْكر كنتَ؟ فَذَكر له النَّاحية الَّتي سمعَ مِنْها الصَّوت. قَالَ: فَمَا غنيتَ؟ فَذَكر الشِّعر الَّذي سَمعَه سُلَيمان، فأَقْبل سُليمان، فقَالَ: هَدَر الجملُ، فَضَبعَت النَّاقةُ، وَنَب التَّيسُ، فَشَكرت الشَّاةُ، وَهَدل الحَمامُ، فَزَافت الحَمَامة، وغَنَّىٰ الرَّجلُ، فَطَربت المرأةُ، ثمَّ أمرَ به فَخُصي.

وَسَأل عَن الغنَاء، أين أصلُهُ، وأَكْثر ما يَكُون، قالوا: بالمَدينَة، وهُوَ في المُخنَّثين، وهُم الحُذَّاق به، والأئمَّة فيه، فكَتب إلَىٰ عاملِهِ عَلَىٰ المَدينة، وهُوَ أبو بكر بن مُحمَّد بن حزم أنَّ أَخْص مَن قِبلكَ من المُخنَّثين المُغنِّين[1].

وقَالَ ابْن أَبِي الدُّنيا: حَدَّثني إبْراهيمُ بن مُحمَّد المروزي عن أَبِي عُثْمان اللَّيثي قَالَ: قَالَ يزيدُ بن الوَليد النَّاقص: يا بني أميَّة، إيَّاكم والغنَاء، فإنَّه ينقصُ الحياءَ، ويَزيد في الشَّهوة، ويَهْدم المُرُوءة، وإنَّه لينوبُ عن الخَمْر، ويَفْعل ما يَفْعل المُسْكر، فإنْ كُنْتم لا بُدَّ فَاعِلِين، فَجنِّبوه النِّساء، فإنَّ الغناءَ داعيةُ الزِّنا[2].

قَالَ الحَافظُ أَبو الفَرَج ابْن الجَوزيِّ[3]: اعْلَم أنَّ سماعَ الغنَاء يَجْمع شَيْئين:

أَحَدُهما: أنَّه يُلْهي القلبَ عَن التَّفكُّر في عَظَمة الله سبحانه، والقيَام بخدمتِهِ.

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢١٠).

(٢) «ذم الملاهي» (٥١).

(٣) في «تلبيس إبليس» (١/ ١٩٨).

والثاني: أَنَّه يميلُهُ إِلَىٰ اللَّذَّات العاجلَة، ويَدْعو إِلَىٰ استيفائها من جَميع الشَّهوات الحسِّيَّة، ومُعْظمها النِّكاح، وليسَ تَمَام لذَّته إلَّا في المُتجدِّدات، وَلَا سبيلَ إِلَىٰ كَثْرة المُتجدِّدات من الحلِّ، فلذَلكَ يحثُّ عَلَىٰ الزِّنا. فبَيْن الغناءِ والزِّنا تناسبٌ من جِهَةِ أنَّ الغناءَ لَذَّة الرُّوح، والزِّنا أكبر لَذَّات النَّفس، ولهَذَا جاءَ في الحَديث: «**الغنَاءُ رُقْية الزِّنا**»(١).

وَقَالَ ابْنُ القيِّم رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: «من الأَمْر المَعْلوم عندَ القَوْم أنَّ المرأةَ إِذَا اسْتَعْصت عَلَىٰ الرَّجل اجْتهَد أنَّ يسمعها صَوْت الغنَاء، فحينئذٍ تُعْطي الليان، وهَذَا لأَنَّ المرأةَ سَريعة الانْفعَال للأَصْوات جدًّا، فإِذَا كَانَ الصَّوت بالغنَاء، صَارَ انْفعالُهَا من وَجْهين؛ مِنْ جهَة الصَّوت، ومن جِهَةِ مَعْناه -إِلَىٰ أنَّ قَالَ- فلَعمر الله، كَمْ من حُرَّة صارَتْ بالغنَاء من البَغَايا. وكَمْ من حرٍّ أَصْبح به عبدًا للصِّبيان أو الصَّبايا. وكَمْ من غيورٍ تبدَّل اسمًا قبيحًا بَيْن البَرايا»(٢).

وقَالَ أيضًا: ليسَ عَلَىٰ النَّاس أضرَّ من سَمَاع المُكَاء والتَّصدية والمَعَازف، ولا أَفْسَد لعُقُولهم وقُلُوبهم وأَدْيَانهم وأَمْوَالهم وأَوْلَادهم وحَريمهم منه.

وقَالَ أيضًا: وقَدْ شَاهد النَّاسُ أَنَّه ما عَانَاه صبيٌّ إلَّا فسدَ، وَلا امرأة إلَّا وبَغَت، وَلَا شَاب إلَّا وإلَّا. ولا شَيْخ إلَّا وإلَّا، والعيان من ذَلكَ يُغْني عن البُرْهان.

وقَالَ شيخُ الإِسْلَام أَبُو العباس ابْن تَيْمية رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: الغناءُ رُقْية الزِّنا، وهو

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم»: «هو من أمثالهم المشهورة»، وعزاه الغزالي في «الإحياء» للفضيل بن عياض.

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤٧).

من أعْظَم الأَسْبَاب لوُقُوع الفَوَاحِش، ويَكُون الرَّجل والصَّبي والمَرْأة في غايَة العفَّة والحريَّة حَتَّىٰ يَحْضره فَتنْحَل نَفْسه، وتَسْهل عَلَيه الفَاحشةُ، وَيَميل لَهَا فَاعلًا، أَوْ مَفْعولًا به، أَو كلَاهُمَا كَمَا يَحْصل بَيْن شَاربي الخَمْر، وأَكْثَر[1]. انْتَهَىٰ.

وممَّا ذَكَرنا يَعْلم أنَّ الغناءَ فنٌّ قبيحٌ؛ لأنَّ الزِّنا من أَقْبح الأَشْيَاء، وَمَا كَانَ رُقْية للفُجُور، وَداعيًا إلَيْه، فهُوَ قبيحٌ مثله. ومَنْ قَالَ: إنَّه فنٌّ جميلٌ، فقَدْ عَكَس القضيَّة، وقَلْب الحَقيقَة.

الوَجْه العاشر: أنَّ الغناءَ صِنْو[2] الخَمْر في الصَّدِّ عن ذِكْرِ الله، وعن الصَّلاة. وقَدْ شَاهَدنا وشَاهَد غَيْرنا ثقلَ الصَّلاة عَلَىٰ المَفْتونين بالغِنَاءِ والمَعَازِف، وَتَهاونهم بها، وَلَا سيَّما صَلَاة العشَاء، وَصَلاة الفَجْر.

وَمَا كَانَ فيه صدٌّ عن ذِكْرِ الله، وَعَن الصَّلَاة، فهُوَ فنٌّ قبيحٌ عَلَىٰ كلِّ حالٍ.

الوَجْه الحَادي عشر: أَنَّ الغِنَاءَ مجلبةٌ للشَّيَاطين، وَمَا كَانَ كذَلك، فهُوَ مَطْردةٌ للمَلَائكة؛ لأَنَّ المَلَائكةَ والشَّياطين ضدَّان فلا يَجْتَمعان.

وقَدْ رَوَىٰ البغويُّ في «تَفْسيره»[3] عَن أَبِي أُمَامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرْفوعًا: **«ما مِنْ رَجُلٍ يرفع صَوْته بالغِنَاء إلَّا بعثَ اللهُ عَلَيه شَيْطانين، أَحدهما عَلَىٰ هَذَا المَنْكب، والآخر عَلَىٰ هَذَا المَنْكب، فَلا يَزَالان يَضْربانه بأَرْجلهما حَتَّىٰ يَكُون هو الَّذي يَسْكت»**.

وَرَواه الحافظُ أَبُو الفَرج ابْن الجوزيِّ، ولفظُهُ: **«مَا من رجلٍ يَرْفع عَقيرَة صَوْته**

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤١٨).

(٢) الصِّنْو: المِثْل.

(٣) (٦/ ٢٨٤)، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف.

بالغِنَاء إلَّا بَعَثَ اللهُ له شَيْطانين يَرْتدفانه، أَعْني هَذَا من ذَا الجَانب، وهَذَا من ذَا الجَانب وَلَا يَزَالان يَضْربَانه بأَرْجلهما فِي صَدْره حَتَّىٰ يَكُون هُوَ الَّذي يَسْكت»(١).

وَرَوَىٰ الطَّبرانيُّ عَن عُقْبة بن عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا من رَاكبٍ يَخْلو في مَسيره بالله، وَذِكْرِه، إلَّا رَدفه ملكٌ، وَلَا يَخْلو بشعرٍ ونَحْوه إلَّا كَانَ رَدفه شَيْطان»(٢).

قَالَ المُنْذريُّ والهيثميُّ: إسْنَادُهُ حسنٌ.

وَذَكر ابْن الجَوزيِّ، وَابْن رَجب عَن ابْن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: «إِذَا ركبَ الإنْسَان الدَّابَّة، ولَمْ يسمِّ ردفه الشَّيْطَان، وقَالَ له: تَغنَّه، فإنْ لَمْ يُحْسن الغِنَاء قَالَ: تَمنَّه». وإِذَا كَانَ الغِنَاءُ جالبًا للشَّيَاطين، ومُبْعدًا للمَلَائكَة، فلا شكَّ أَنَّه فنٌّ قبيحٌ.

الوَجْه الثَّاني عَشَر: أنَّ الغِنَاءَ سببٌ لأنْوَاع العُقُوبات في الدُّنيا والآخرة، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان: ٦، ٧].

وقَدْ تَقدَّم قَوْل ابْن مَسْعود، وَابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَجماعة من التَّابعين أنَّ لهوَ الحَديث هو الغِنَاء. وقَدْ حَلف ابنُ مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ ذَلكَ، وكرَّر الحلفَ ثَلَاث مرَّات، وهُوَ الصَّادقُ البارُّ في يمينِهِ، وقَدْ وَرَد الوعيدُ الشَّديدُ لأَهْل الغِنَاء والمَعَازِف في أَكْثَر من عشرينَ حَديثًا ذَكَرتها في كتابِي «فَصْل الخطَاب في الرَّدِّ عَلَىٰ أَبِي تراب»،

---

(١) رواه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٧)، بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني (١٧/ ٣٢٤) (٨٩٥)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٦٦٨٨): منكر.

فلتُراجع هُنَاك، وفي أَكْثَرِها الوَعيد لهُمْ، ولشَاربي الخَمْر بالخَسْف والقَذْف والمَسْخ، وما كَانَ الأَمْر فيه هَكَذا، فهُوَ من الفُنُون القَبيحَة.

الوَجْه الثَّالث عَشَر: أَنَّ الغِنَاء يُغيِّر العقلَ، ويُنْقص الحياءَ، ويَهْدم المروءةَ، ولهَذَا يَرْقص أهلُهُ كَمَا تَرْقص القرودُ والدبابُ، ويَتَمَايلون كَمَا يَتمَايل المَجَانين والسكَارىٰ، ويُصفِّقون كَمَا تُصفِّق النِّساء، ولا يَرَون بهَٰذِهِ الرُّعُونات بأسًا. ومَنْ له أدْنَىٰ عقلٍ لَا يَخْفىٰ عَلَيه قبحُ هَذِهِ الأفْعَال، ومُضَادتها للعَقْل، وللحَيَاء، والمُرُوءة، فالغِنَاءُ إِذًا فنٌّ قبيحٌ.

قَالَ الحافظُ أَبُو الفَرَج ابْن الجوزيِّ رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: «الغِنَاءُ يُخرج الإنْسَان عن الاعْتدَال، ويُغيِّر العَقْل، وبَيَان هَذَا أَنَّ الإنْسَان إِذَا طربَ، فعلَ ما يستقبحُهُ في حَال صحتِهِ من غَيْره من تَحْريك رأسِهِ، وتَصْفيق يَدَيه، وَدَق الأَرْض برِجْلَيه إِلَىٰ غَيْر ذَلكَ ممَّا يفعلُهُ أصحابُ العُقُول السَّخيفة، والغنَا يوجبُ ذَلكَ، بَلْ يُقَارب فِعْلُهُ فعلَ الخَمْر في تَغْطية العَقل، فيَنْبغي أن يقعَ المَنْعُ منه»(١). انْتهَىٰ.

الوَجْه الرَّابع عَشَر: أَنَّ الغِنَاءَ من لَذَّات الفُسَّاق، كَمَا أَنَّ الزِّنا وشُرْب الخَمْر من لَذَّاتهم أيضًا، فهَلْ يَقُول عَاقلٌ: إنَّ الزِّنا فنٌّ جميلٌ؛ لأَنَّه لذيذٌ إِلَىٰ النَّفس، أوْ أَنَّ شُرْبَ الخَمْر فنٌّ جميلٌ؛ لأَنَّه لذيذٌ إِلَىٰ المَفْتونين بِهِ. كَلَّا، لَا يَقُول هَذَا عاقلٌ أبدًا، وكذَلكَ لا يَقُول عاقلٌ: إنَّ الغِنَاءَ فنٌّ جميلٌ من أَجْل الْتذَاذ الفُسَّاق به.

الوَجْه الخَامسَ عَشَر: أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجَمَال**»، رَوَاه الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ والتِّرمذيُّ من حديث عَبْد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢١٠).

وقَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ[(١)].

وهَذَا الحديثُ من أوْضَح الأدلَّة عَلَىٰ أنَّ الغِنَاءَ فنٌّ قبيحٌ؛ لأنَّه مَسْخطةٌ للرَّبِّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ومرضاةٌ للشَّيْطان، ولأنَّه صَوْتُ الشَّيْطَان ومزمارُهُ، فهَلْ يَقُول عَاقلٌ: إنَّ اللهَ تَعَالىٰ يحبُّ صَوْتَ الشَّيْطَان ومِزْمَاره، وإنَّه فنٌّ جميلٌ؟!

كَلَّا، لَا يَقُول هَذَا إلَّا مَنْ أعْمَىٰ الله بصيرتَهُ، فَصَار يرىٰ الباطلَ في صُورة الحَقِّ، والقبيحَ في صُورَة الحَسَن، وقَدْ قيلَ:

يُقْضىٰ عَلَىٰ المرء في أيام محنته حَتَّىٰ يرىٰ حَسنًا ما ليس بالحَسَن

وأبْلَغ من هَذَا قَوْلُ الله تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٤١].

فصل

وأمَّا قَوْله: «يَتعشَّقه كلُّ إنْسَانٍ بفطرتِهِ، وَتَهيم به كلُّ نفسٍ بطبيعَتها».

فَجَوابُهُ من وجوهٍ:

إحداها: أنَّ يقَالَ: إنَّ الغِنَاءَ مزمارُ الشَّيْطَان وصَوْته، فَلَا يَتعشَّقه، وَتَهيم به نفسُهُ إلَّا من استفزَّه الشَّيْطَانُ، وَغلب عَلَيه كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٩) (٣٧٨٩)، ومسلم (٩١)، والترمذي (١٩٩٩).

وقَدْ ثَبتَ عن مُجَاهد أَنَّه قَالَ: صوتُهُ هو الغِنَاءُ والمَزَامير.

ومُجَاهد إنَّما تلقَّىٰ التَّفسيرَ عَنْ حَبْر الأمَّة، وتَرْجمان القُرْآن ابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَمَا قَالَ مُحمَّد بن إسْحَاق: حَدَّثنا أبان بن صَالح عن مُجَاهد قَالَ: عَرَضتُ المُصْحف عَلَىٰ ابْن عبَّاس ثَلَاث عَرضاتٍ، من فاتحتِهِ إِلَىٰ خاتمتِهِ، أوقفُهُ عند كلِّ آيةٍ منه، وأسألُهُ عَنْها(١).

وَرَوىٰ ابْن جريرٍ عَن أَبِي مليكَةَ قَالَ: رأيتُ مُجَاهدًا سألَ ابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ تَفْسير القُرْآن، وَمَعه ألواحُهُ، قَالَ: فيقُول له ابْن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اكْتُب حَتَّىٰ سَأَله عن التَّفْسير كلِّه(٢).

ولهَذَا، قَالَ سُفْيان الثَّوريُّ: إِذَا جَاءَكَ التَّفْسيرُ عن مُجَاهد فحَسْبُك به.

الوَجْه الثَّانِي: أَنَّه لا يَتعشَّق الغِنَاءَ ويَسْتبيحه إلَّا الفُسَّاق. قَالَ الإمامُ أَحْمَد رحمه الله تَعالَىٰ: حَدَّثنا إسْحَاق ابْن عيسىٰ الطباع، قَالَ: سألتُ مالكَ بن أنسٍ عمَّا يترخَّص فيه أَهْل المَدينَة من الغِنَاءِ، فقَالَ: إنَّما يفعلُهُ عندنا الفُسَّاق(٣).

قَالَ الحَافظُ ابْنُ رَجَبٍ: وَكَذا قَالَ إِبْرَاهيم بن المنذر الحزاميُّ، وهو من عُلَماء أَهْل المَدينَة المُعْتَبَرين(٤).

الوَجْه الثَّالث: أنَّ أَهْلَ التَّقوىٰ يَنْفرون من سَمَاع الغِنَاءِ والمَزَامير أَشَد النُّفرة،

---

(١) أخرجه الطبري في مقدمة «التفسير» رقم (١٠٨).

(٢) أخرجه الطبري في مقدمة «التفسير» رقم (١٠٧).

(٣) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (٢٠٤).

(٤) «فتح الباري» لابن رجب (٦/ ٨٣).

ويُبْغضونها غَايَة البُغْض، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعالىٰ في نَعْتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قَالَ **مُحمَّد بن الحنفيَّة**: الزُّور: اللَّهْو والغِنَاء. وقَالَ مُجَاهدٌ: لا يَسْمعون الغِنَاء. وقَالَ ثَعْلب: الزُّورُ ههنا مَجَالسُ اللَّهو. وقَالَ الزَّجَّاج: قيلَ: الزُّور ههنا مَجَالس الغِنَاءِ.

قَالَ ابْنُ القيِّم رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: والمَعْنىٰ لا يَحْضرون مَجَالس البَاطل، وإِذَا مرُّوا بكلِّ ما يُلْغي من قولٍ وعملٍ، أَكْرَموا أَنْفسهم أن يَقفُوا عَلَيه، أو يَميلُوا إِلَيْه، ويَدْخل في هَذَا أَعْيَاد المُشْركين كَمَا فَسَّرها به السَّلفُ، والغِنَاءُ وأَنْوَاع البَاطل كُلُّها. قَالَ: وتَأمَّل كَيْف قَالَ سُبْحانه: ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾، ولَمْ يَقُل: بالزُّور؛ لأنَّ (يَشْهدون) بمعنىٰ (يَحْضرون)، فَمَدَحهم عَلَىٰ تَرْك حُضُور مَجَالس الزُّور، فكيفَ بالتَّكلُّم به وفِعْله، والغِنَاءُ من أعْظَم الزُّور(١). انْتَهَىٰ.

وَرَوىٰ ابْنُ جريرٍ، وابْن أَبِي حَاتم عَنْ إبْرَاهيم بن ميْسرةَ أَنَّ ابْنَ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرَّ بلهوٍ، فلَمْ يَقِفْ، فقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لقَدْ أَصْبَح ابنُ مسعودٍ، وأَمْسَىٰ كريمًا**»، ثمَّ تَلا إبْراهيمُ بن مَيْسرة ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾(٢).

وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه سدَّ أُذُنيه لما سمعَ صَوْت الزمارة، وَعَدل رَاحلَته عن الطَّريق. قَالَ الإمامُ أَحْمدُ **رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ**: حَدَّثنا الوليدُ، حَدَّثنا سَعيد بن

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤١).

(٢) رواه الطبري بنحوه في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٤٦٤)، بإسناد ضعيف؛ للانقطاع بين إبراهيم بن ميسرة الطائفي وعبد الله بن مسعود.

عَبْد العَزيز، عَنْ سُلَيمان بن مُوسَىٰ، عَنْ نَافع مَوْلىٰ ابْن عُمَر أَنَّ ابْنَ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَمعَ صَوْت زمارةِ راعٍ، فَوَضع أُصْبُعيه في أُذُنيه، وَعَدل راحلتَهُ عن الطَّريق وهُوَ يَقُول: يَا نافعُ، أَتَسْمَع؟ فأَقُول: نَعمْ، فيَمْضي حَتَّىٰ قلتُ: لَا، فَوَضع يَدَيه، وأَعَاد راحلتَهُ إِلَىٰ الطَّريق، وقَالَ: رَأيتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَمع صَوْت زمارةِ راعٍ فَصَنع مثلَ هَذَا.. إسنادُهُ صحيحٌ(١).

وقَدْ رَوَاه أَبُو دَاود في «سُنَنه»(٢)، عن أَحْمَد بن عُبَيد الله الغداني، عَن الوَليد بن مُسْلم، فَذَكره بنحْوه، وبَوَّب عَلَيه بقَوْله: «بابُ كَرَاهية الغِنَاءِ والزَّمر»، وقَدْ رَوَاه ابنُ الجوزيِّ من طَرَيق الإمَام أَحْمَد، ثمَّ قَالَ: إِذَا كَانَ هَذَا فِعْلهم في حقِّ صَوْتٍ لا يخرجُ عَنْ الاعْتدَال، فكَيف بغِنَاءِ أَهْل الزَّمَان وزمورهم؟!(٣).

قُلْتُ: وأعْظَمُ من ذَلكَ ما فَشا في زَمَاننا من أَلْحَان الغِنَاء، وأصْوَات المَعَازِف الَّتي تفعلُ في نَفْس مَنْ أَصْغَىٰ إِلَيْها نحوَ ما تفعلُ الخمرُ، فهَذِهِ أولىٰ بأن تسدَّ عَنْها المَسَامع، وأَنْ يبتعدَ عَنْ سَمَاعها غايةَ البُعْد، وما أَصْعَب ذَلكَ في زَمَاننا! فاللهُ المُسْتعان.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «يَتُوق إليه الملكُ في قَصْره، ويَشْتاقه الصُّعلوكُ في كُوخِهِ».

فَجَوابُهُ من وَجْهين:

أَحَدُهُما: أَنْ يُقَال: ليسَ كلُّ المُلُوك يَتُوقون إِلَىٰ الغِنَاءِ، وَلَا كلُّ الصَّعَاليك

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٨) (٤٥٣٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن.

(٢) (٤٩٢٤)، وصححه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (١١٦).

(٣) «تلبيس إبليس» (٢٠٧).

يَشْتَاقون إلَيْه، وإنَّما يَتُوق إلَيْه ويشتاقُهُ مَنْ قلَّ نصيبُهُ من التَّقْوىٰ من ملكٍ وصعلوكٍ، وغَيْرهما من سَائر أَصْنَاف النَّاس.

الوَجْه الثَّاني: أنْ يُقَال: ليسَ كلُّ ما يَتُوق إلَيْه الملوكُ، ويشتاقُهُ غَيْرهم من النَّاس يَكُون مباحًا، بَلْ منه ما يَكُون مباحًا، ومنه ما يَكُون محرمًا؛ كالغِنَاءِ والمَزَامير، وغَيْرها من المُحرَّمات الَّتي يَشْتاق إلَيْها مَن اسْتَزلَّه الشَّيْطَانُ وأغْوَاه.

ولَيْسَت العِبْرة في حِلِّ الأشْيَاء أوْ حُرْمتها بأهْوَاء النَّاس وَشَهَواتهم، وإنَّما العبرةُ في ذَلكَ بالكِتَابِ والسُّنَّة، فما شَهِدَا له بالحِلِّ فهُوَ حلالٌ، وما شَهِدَا لَه بالتَّحْريم فهُوَ حرامٌ، ولو تَاقَت إليه أنْفُس المُلُوك أو غَيْرهم من النَّاس. وقَدْ قامَ الدَّليلُ من الكِتَابِ والسُّنَّة عَلَىٰ تَحْريم الغِنَاءِ والمَزَامير، فَلَا يلتفتُ إِلَىٰ ما خَالَفه من أَهْوَاء النَّاس وَشَهَواتهم.

فصل

وأمَّا قَوْله: «وهُوَ غذاءُ الأَرْوَاح، وسَلْسَبيل القُلُوب، وَصِقَال النُّفُوس، ورَوْضة الأَذْهَان».

فَجَوابُهُ أنْ يُقَالَ: هَذَا مِن قَلْب الحَقَائق، فإنَّ هَذِهِ الصِّفَات لا تَنْطبق عَلَىٰ الغِنَاءِ، وإنَّما تَنْطبق عَلَىٰ القُرْآن، فهُوَ غذاءُ أرْوَاح المُؤْمنين، وسَلْسَبيل قُلُوبهم، وَصقَال نُفُوسهِمْ، ورَوْضة أذْهَانهِمْ، وأمَّا سَماعُ المُكَاء والتَّصْدية، فإنَّه فَسادٌ للأَرْوَاح والقُلُوب والنُّفُوس والأَذْهَان؛ لأنَّه صوتٌ أَحْمَقُ فَاجرٌ ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة، وهُوَ صوتُ الشَّيْطَان، وقرآنُهُ، ورُقْية الزِّنا، ومُنْبت النِّفَاق في القُلُوب، وَجَالب الشَّيَاطين، ومُبْعد المَلَائكَة، وصِنْو الخَمْر في الصَّدِّ عن ذِكْرِ الله، وعن الصَّلَاة.. إِلَىٰ غير ذَلكَ من صفاتِهِ الذَّميمَة، وَمَا كَانَ كذَلكَ فهُوَ شرٌّ محضٌ.

فصل

وأمَّا قَوْله: «وهُوَ بَعْدُ مُتْعةٌ مَشْروعة لَا يَأْبَاها الدِّينُ، ولا تُنْكرها الشَّريعة ما دَامَ لا يَكْتنفُهُ رفثٌ، وَلَا فسوقٌ، وَلَا شرابٌ».

فَجوابُهُ من وُجُوهٍ:

إحْدَاها: أنَّ ما زَعَمه من كَوْن الغِنَاءِ متعةً مشروعةً قولٌ باطلٌ، معلومُ البُطْلان بالضَّرورة من الدِّين، وكيفَ يَكُون الغِنَاءُ مُتْعةً مَشْروعةً، واللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قَدْ ذَمَّه في مَوَاضع من كتابِهِ، وَتوعَّد مَن اخْتَاره بالعَذَاب المُهين، وكذَلكَ قَدْ نَهَىٰ عَنْه رَسُولُ الله صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وسَمَّاه الصَّوتَ الأَحْمَق الفَاجر، وأَخْبَر أَنَّه صوتٌ ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة.

الوَجْه الثَّانِي: أنَّ يقَال: إنَّما يَتمتَّع بالغِنَاء الفُسَّاقُ الَّذينَ لا يُبَالون بارْتكَاب بالمُحرَّمات، وقَدْ تقدَّم قولُ مالكٍ وإبْرَاهيم بن المُنْذر الحزامي في ذَلكَ.

والَّذي شَرَع هَذِهِ المتعةَ للفُسَّاق هو إبْليسُ وأَوْليَاؤه. وقَدْ رَوَىٰ ابنُ جريرٍ عَن ابْن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أَنَّه ذَكَر عن أَهْل الجَاهليَّة الأولىٰ أنَّ إبليسَ صَنَع مزمارًا فَانْتابَه النَّاس يَسْتمعون إلَيْه، وَصَار ذَلكَ سببًا لتَبرُّج النِّساء للرِّجال، وظُهُور الفَاحشَة فيهم(١).

وَذكَر ابْنُ جريرٍ أيضًا أنَّ الَّذي اتَّخذَ المَلَاهي رجلٌ من وَلَد قَابيل يُقَال له: ثوبال، اتخذَ في زَمَانه مهلائيل بن قينان آلاتِ اللَّهْو من المَزَامير والطُّبول والعِيدَان،

---

(١) «تفسير الطبري» (١٩/ ٩٨).

فَانْهَمَكَ ولدُ قَابيل في اللَّهو، وتَنَاهىٰ خَبَرهم إِلَىٰ مَنْ بالجَبل من نَسْل شِيث، فَنزلَ مِنْهم قومٌ، وَفَشَت الفَاحشةُ، وشُرْب الخَمْر.

الوَجْه الثَّالث: أنَّ في كَلَام صَاحب «النُّبذة» كذبًا ظاهرًا عَلَىٰ الدِّين والشَّريعة المُحمَّدية حَيْث زَعَم أنَّ الدِّين لا يَأْبىٰ الغِنَاءَ، وأنَّ الشَّريعةَ لا تُنْكره، وقَدْ تَقدَّم من الآيَات والأَحَاديث ما يَكْفي في ردِّ قَوْله.

وقَدْ وَرَدت الأدلَّةُ الكثيرةُ من الكتَاب والسُّنَّة بتَحْريم الغِنَاءِ والمَعَازِف. وَجَاء في ذَلكَ آثارٌ كثيرةٌ عن الصَّحَابة والتَّابعين، وَتَابعيهم، وَعَن الأئمَّة الأَرْبَعة، وغَيْرهم من العُلَماء.

وَحَكَىٰ غَيْر واحدٍ الإجْمَاع عَلَىٰ ذَلكَ، وقَدْ ذَكَرت ذَلكَ مُسْتقصًىٰ في كتَابِي «فَصْل الخطَاب في الرَّدِّ عَلَىٰ أَبِي تُرَاب»، فَلْيُراجع هُنَاك، فَفِيهِ ردٌّ لقَوْل صَاحب «النُّبذة»: إنَّ الغِنَاءَ متعةٌ مشروعةٌ، لَا يَأْباهَا الدِّينُ، وَلَا تُنْكرها الشَّريعة.

ونكْتفي هَهُنا بإيرَاد حَديثَيْن صَحيحَيْن في ذَلكَ:

أَحَدُهُما: ما رَوَاه البخاريُّ في «صَحيحِهِ»، والإسْمَاعيلي، والطَّبراني، وَابْن حبَّان، والبَيْهقي، وغَيْرهم عَنْ عَبْد الرَّحمن بن غُنْم الأَشْعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثني أَبُو عَامر، أَوْ أَبُو مالكٍ الأَشْعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللهِ ما كَذَبني، سَمعَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**لَيكُونَنَّ من أُمَّتي أَقْوَامٌ يَسْتَحلُّون الحِرَ، وَالحَريرَ، والخَمْرَ، والمَعَازِفَ**»(١). وهَذَا الحديثُ وَاضحٌ في تَحْريم الغِنَاءِ؛ لأنَّ الاسْتحلَالَ إنَّما يَكُون للشَّيء المُحرَّم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠)، وأبو داود (٤٠٣٩)، وابن حبان (١٥/ ١٥٤) (٦٧٥٤)، والطبراني (٣/ ٢٨٢) (٣٤١٧)، والبيهقي (٣/ ٢٧٢) (٥٨٩٥).

وقَدْ قرنَ اسْتحلَاله باسْتحلَال الزِّنا، وشُرْب الخَمْر، ولُبْس الحَرير في حَقِّ الذُّكُور، وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ غِلَظِ تَحْرِيمِهِ.

والمَعَازِفُ جَمْع معْزَف، ويُقَال أيضًا: مِعْزَفة بكَسْر المِيم، وفَتْح الزَّاي فِيهما. قَالَ الجَوهريُّ: المَعَازِفُ: المَلَاهي. والعَازِفُ: اللَّاعبُ بها. والمُغنِّي وقَدْ عزف عزفًا. وقَدْ تقدَّم قولُ أَبِي زبيدٍ:

وكَأن العزيف فيها غِنَاء ... للنَّدامىٰ من شاربٍ مسمودِ

قَالَ ابْن حَجَر العَسْقلاني: ويُطْلق عَلَىٰ الغِنَاءِ عزفٌ، وعَلَىٰ كلِّ لَعِبٍ عزفٌ.

الثَّانِي: ما رَوَاه الإمامُ أَحْمدُ، وَابْن أَبِي شَيْبَةَ، والبُخَاري في «التَّاريخ الكَبير»، وَابْن مَاجَه في «سُنَنه»، وَابْن حبَّان في «صَحيحِهِ»، عَنْ عَبْد الرَّحمن بن غَنْم الأَشْعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَيَشْربنَّ ناسٌ من أُمَّتي الخمرَ يُسمُّونها بغَيْر اسْمها، يُعْزف عَلَىٰ رُءوسِهم بالمَعَازِفِ والمُغنِّيات، يَخْسف اللهُ بِهِم الأَرْض، ويَجْعل مِنْهم القِرَدَة والخَنَازير**»(١).

وهَذَا الحَديثُ يدلُّ عَلَىٰ تَحْريم الغِنَاءِ، وَاسْتعمَال المَعَازِف، وَالاسْتمَاع إِلَيْها، وأنَّ ذَلكَ من الكَبَائر؛ لشدَّة الوَعِيدِ عَلَيه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٠)، والبخاري في «تاريخه» (١/ ٣٠٥)، وابن حبان (٦٧٥٨)، والطبراني (٣/ ٢٨٣) (٣٤١٩)، والبيهقي (٨/ ٢٩٥) و(١٠/ ٢٢١).

وأخرجه مختصرًا بقصة الخمر أحمد (٥/ ٣٤٢) (٢٢٩٥٠) وعنه أبو داود (٣٦٨٨) عن زيد بن الحباب، عن معاوية بن صالح، به، ولفظه: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها**»، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٩٠).

الوَجْه الرَّابع: أنَّ الغِنَاءَ مُحرَّمٌ لذاتِهِ؛ سَوَاء اكْتنفَه رفثٌ، أوْ فُسُوقٌ، أوْ شَرابٌ، أوْ لَمْ يَكْتنفه، وإِذَا اكْتَنفَه شيءٌ ممَّا ذكرَ، كَانَ أعْظَم؛ لتَحْريمه لجَمْعه بَيْن أَمْرَين مُحرَّمين.

فصل

وَأمَّا قَوْله: «دَعْ عَنْكَ ما يتشدَّق به المُتزمِّتون من أنَّ الدِّينَ يَحْظره، وأنَّ الشَّرع لا يبيحُهُ».

فَجَوابُهُ من وَجْهين:

أَحَدُهُما أنْ يقَال: إنَّ الَّذينَ يُحرِّمون الغِنَاءَ لَيْسوا بالمُتَشَدِّقين، وَلَا بالمُتَزمِّتين كَمَا رَماهم بذَلكَ صاحبُ النُّبذة بَغيًا وظلمًا، وإنَّما هم مُتمسِّكون بمَا جَاءَ عن اللهِ ورسولِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في ذَلكَ، ومُتَّبعونَ لخيَار هَذِهِ الأُمَّة من الصَّحَابة والتَّابِعِين وأئمَّة العِلْمِ والهُدَىٰ من بَعْدهم، ومَنْ سَار عَلَىٰ الصِّراط المُسْتقيم فليسَ بمُتشدِّقٍ، ولا مُتزمِّتٍ، وإنَّما المُتَشدِّق مَن اتَّبعَ غَيْر سَبيل المُؤْمنين، وَجَادل بالبَاطل ليُدْحض بِهِ الحقَّ؛ كَصَاحب النُّبذَة وأشْبَاهه.

الوَجْه الثَّانِي: أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نَهَىٰ عن الغِنَاءِ، وسَمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، وَقَرنه بالنِّيَاحَة، وأَخْبر أَنَّه ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة، وأَخْبَر أيضًا أنَّ أقوامًا من أُمَّته يَسْتحلُّونه، وأنَّ اللهَ يَخْسف بِهِم الأَرْض، ويَجْعل مِنْهم القِرَدَة والخَنَازير، وَقَرن اسْتحلَاله باسْتِحْلَال الزِّنا والخَمْر، ولُبْس الحَرير للرِّجَال، فهَلْ يَقُول صاحبُ «النُّبذة»: إنَّ هَذَا تَشدُّقٌ وتزمُّتٌ؟! وهَلْ يَقُول أيضًا: إنَّ أقوالَ الصَّحَابة والتَّابِعِين وَتَابعيهم في ذمِّ الغِنَاءِ والمَنْع عنه كلُّها تَشدُّقٌ وتَزمُّتٌ؟! أمْ ماذَا يجيبُ به عن كلامِهِ السَّيِّئ الَّذي لم يُتأمَّل فيه، وَفيمَا يَترتَّب عَلَيه؟

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وحَسْبنا فِي تَفْنيد زَعْمهم ما وَرَد في الحَدِيثِ الشَّريف عَنْ عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنَّها زَفَّت امرأةً إِلَىٰ رجلٍ من الأنْصَار، فقَالَ نبيُّ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«يَا عَائشةُ، ما كَانَ مَعكُمْ لهوٌ، فإِنَّ الأنْصَار يُعْجبهم اللَّهوُ»**[1].

وفِي رِوَايةٍ: **«فَهلَّا بَعثتم مَعَها جَاريةً تَضْرب بالدُّفِّ وتُغنِّي»**[2].

وقَالَ صاحبُ **«العِقْدِ الفَريد»**[3]: «وَاحْتجُّوا في إِبَاحَة الغِنَاءِ وَاسْتحسَانه بقَوْل النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لعَائشةَ: **«أَهْدَيتم الفَتَاةَ إِلَىٰ بَعْلها؟»**، قَالَت: نَعمْ. قَالَ: **«فَبعثتُمْ مَعَها مَنْ يُغنِّي؟»**، قَالَت: لَا. قَالَ: **«أَوَ مَا عَلِمْتِ أَنَّ الأَنْصَارَ قومٌ يُعْجبهم الغزلُ، أَلَا بَعثْتُمْ مَعَها مَنْ يَقُولُ:**

أَتَيْنَــــاكُمْ أَتَيْنَــــاكُمْ ... فَحيُّونَــــا نُحيِّــــيكمْ

ولَــــوْلَا الحبَّــــة السَّــــمَرا ... ءِ لَــــمْ نَحْلــــلْ بــــوَاديكم»[4]...»

فَجَوابُهُ من وُجُوهٍ:

إِحْداهَا: أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنَّما رخَّص للنِّساء في الغِنَاءِ في أيَّام الأَفْرَاح كالأَعْيَاد والأعْرَاس، كَما دلَّ عَلَيه هَذَا الحديثُ، وَحَديثُ عَائشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في غِنَاءِ الجَاريَتَيْن عِنْدَها في يَوْم العِيدِ[5]، ولَمْ يُرخِّص لهُنَّ مطلقًا، وهَذَا يردُّ قَوْل مَن استدلَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٦٢).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣١٥) (٣٢٦٥)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٩٩٥).

(٣) لابن عبد ربه الأندلسي (٧/ ٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) وقد سبق تخريجه.

به عَلَىٰ جَوَاز الغِنَاءِ عَلَىٰ الإطْلَاق؛ كالصُّوفيَّة، وَابْن حزمٍ، ومَنْ نَحَا نَحْوهم؛ كصَاحب «النُّبذة» وأشْبَاهه ممَّن يَرَىٰ حلَّ الغِنَاءِ المُحرَّم.

قَالَ شَيْخ الإسلام أَبُو العبَّاس ابن تَيْمية رحمه الله تَعَالىٰ: أمَّا مَنْ يَصْلح له اللَّعب فيُرخَّص له في الأَعْيَاد كَمَا كَانت الجَاريَتان تُغنِّيان، والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمع، فَمَن اسْتدلَّ بجَوَاز الغِنَاء للصِّغَار في يَوْم العيدِ عَلَىٰ أَنَّه مباحٌ للكبَار من الرِّجَال والنِّساء عَلَىٰ الإطْلَاق، فهُوَ مخطئ[1]. انْتهَىٰ.

الوَجْه الثَّانِي: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّمَا رَخَّص في الغِنَاءِ في أَيَّام الأَفْرَاح للنِّساء خَاصَّة، ولَمْ يُرخِّص فيه للرِّجَال.

وقَدْ رَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ في «الحِلْية»[2] من حَدِيثِ الرَّبيع بن خَيْثم، عَنْ عَبْد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمعَ رجلًا يتغنَّىٰ من اللَّيل، فقَالَ: «**لا صَلَاة له حَتَّىٰ يُصلِّي مِثْلها ثَلَاث مَرَّاتٍ**»، وهَذَا الحَديثُ يَدلُّ عَلَىٰ التَّشْديد عَلَىٰ الرِّجَال فِي الغِنَاءِ، وَيَدلُّ عَلَىٰ ذَلكَ أيضًا ما رَوَاه ابْنُ أَبِي الدُّنيا... إلخ.

وَرَوَىٰ ابْنُ أَبِي الدُّنيا من طَرِيق يَحْيىٰ بن سعيدٍ عَنْ عُبَيد الله بن عُمَر قَالَ: حَدَّثني نافعٌ أَنَّ ابنَ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرَّ عَلَىٰ قومٍ مُحْرمين، وَفِيهِم رجلٌ يَتغنَّىٰ، فقَالَ: «**أَلَا لا سَمِعَ اللهُ لكُمْ، أَلَا لا سَمِعَ اللهُ لكُمْ**»[3].

---

(١) «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (١/ ٣٥٣).

(٢) (٢/ ١١٨)، وفي إسناده سعيد بن سنان الحنفي، وهو متهم بالوضع.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١/ ٤٨) (٤٢)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٥/ ٦٨) (٨٩٦١).

الوَجْه الثَّالث: أنَّ الَّذي وَرَدت الرُّخْصة فِيهِ للنِّسَاء فِي أَيَّام الأفْرَاح هُوَ مجرَّد إنْشَاد الأشْعَار مَعَ الضَّرب بالدُّفُوف من غَيْر تَلْحينٍ، وَلَا تَطْريبٍ في الإنْشَاد، وَلَا تَأنُّق في الضَّرْب بالدُّفُوف، ولهَذَا قَالتْ عَائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا في الحَدِيثِ الصَّحيح: «ولَيْستا بمُغنِّيَتَيْن»(١).

قَالَ الحَافظُ ابْن حَجَرٍ: فَنفَتْ عَنْهما من طَريق المَعْنىٰ ما أَثْبَتته لهُمَا باللَّفْظ؛ لأنَّ الغِنَاءَ يُطْلق عَلَىٰ رَفْع الصَّوت.

قُلْتُ: وهَذَا أحدُ الوُجُوه الَّتي فُسِّر بها قولُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَذِنَ الله لشيءٍ مَا أَذِنَ لنبيٍّ حَسَن الصَّوْت يَتغنَّىٰ بالقُرْآن يَجْهر به**» مُتَّفقٌ عَلَيه من حَدِيثِ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

قَالَ الخَطَّابِي يَجْهر به: زَعَم بَعْضهم أَنَّه تفسيرٌ لقَوْله: «**يَتغنَّىٰ بِهِ**»، قَالَ: وكلُّ مَنْ رَفَع صوتَهُ بشيءٍ مُعلِنًا به، فقَدْ تَغنَّىٰ به.

وقَالَ أَبُو عَاصم: أَخَذَ بيَدي ابْنُ جُرَيج، فَوَقفَني عَلَىٰ أَشْعَب، فقَالَ: غَنِّ ابن أَخي ما بَلَغ من طَمَعك، فقَالَ: بَلَغ من طَمْعي أَنَّه ما زُفَّت بالمَدينَة جَاريةٌ إلَّا رَشَشت بابِي طمعًا أَنْ تُهدىٰ إلَيَّ.. يُريدُ أَخبِرْه مُعلنًا به غيْرَ مُسرٍّ(٣). انْتهىٰ.

وَذَكَر ابْنُ منظورٍ في «لسَان العَرَب»(٤) عَن الأَصْمعيِّ أَنَّه قَالَ: كلُّ مَنْ رَفَع

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).

(٣) «معالم السنن» للخطابي (١/ ٢٩٢).

(٤) (١٥/ ١٣٦).

صوتَه ووَالَاه فصوتُهُ عندَ العَرَب غِنَاءٌ.. وكَذَا قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ في «النِّهاية»(١).

ثمَّ ذَكَر الحَافظُ ابْن حَجَر أنَّ الغِنَاءَ يُطْلق عَلَىٰ التَّرنُّم الَّذي تُسمِّيه العربُ «النَّصْبَ» بفَتْح النُّون وسُكُون المُهْملة. وعَلَىٰ الحدَاء. قَالَ: ولَا يُسمَّىٰ فاعلُهُ مُغنِّيًا، وإنَّما يُسمَّىٰ بذَلكَ مَنْ يُنْشد بتَمْطيطٍ وتكْسيرٍ وتَهْييجٍ وتَشْويقٍ بما فيه تَعْريضٌ بالفَوَاحش أوْ تَصْريحٌ(٢).

قُلْتُ: ويُطْلق الغِنَاءُ أيضًا عَلَىٰ مُجرَّد الإنْشَاد؛ لمَا رَوَىٰ الزُّبير بن بكَّار من طَريق زَيْد بن أسْلَم عن أَبيهِ أنَّ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ للحُطَيْئة: كأنِّي بك عندَ شابٍّ من قُرَيش قَدْ كَسَر لكَ نمرقةً، وبَسَط لكَ أُخْرىٰ، وقَالَ: يَا حُطَيْئة، غَنِّنا، فَانْدَفعت تُغنِّيه بأَعْرَاض النَّاس.

قَالَ أَسْلَم: فَرَأيتُ الحُطَيْئة بَعْد ذَلكَ عندَ عُبَيد الله بن عُمَر، وقَدْ كسرَ لَه نُمْرقة، وبسطَ لَهُ أُخرىٰ وقَالَ: يَا حُطَيْئة، غَنِّنا، فَانْدَفع حُطَيْئة يُغنِّي. فقُلْت لَهُ: يَا حُطَيْئة، أَتَذْكر يومَ عُمَر حينَ قَالَ لَكَ ما قَالَ، فَفزِعَ وقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ذَلكَ المرءُ لَوْ كَانَ حيًّا ما فَعَلنا هَذَا. فقُلْتُ لعُبَيد الله: إنِّي سَمعتُ أبَاك يَقُول كَذَا وكَذَا، فكُنْت أنْتَ ذَلكَ الرَّجل.

وإذَا عُلِمَ هَذَا، فَالغِنَاءُ الجَائزُ الَّذي وَرَدت الرُّخصةُ فِيهِ للنِّساء في أيَّام الأَفْرَاح لا يَخْرج عن أَحَد الأقْسَام الجَائزَة، كَمَا يدلُّ لذَلكَ قَوْل عَائشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ولَيْستا بمُغنِّيتين». وقَدْ جَزَم الحَافظَان أَبُو الفَرَج ابْن الجوزيِّ، وأَبُو مُوسَىٰ المَديني، وغَيْرهما من أَكَابر العُلَماء، أنَّ غِنَاءَ الجَاريَتَين عندَ عَائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ مُجرَّد إنْشَادٍ

(١) (٣/ ٣٩١).

(٢) «فتح الباري» (٢/ ٤٤٢).

لا تَلْحين فيه، وَلَا تَطْريب. وهُوَ ظاهر ما رَوَاه جَعْفر بن مُحمَّد عن الإِمَام أَحْمَد - رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ - كَمَا سَيأْتِي.

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ في «النِّهاية»[(١)]**، وَابْن مَنْظورٍ في «لسَان العرَب»**[(٢)]: «وَفِي حَدِيثِ عَائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: «وَعِنْدِي جارِيَتَان تُغنِّيان بغِنَاءِ بُعَاث»، أي: تُنْشدَان الأَشْعَار الَّتي قِيلَتْ يَوْم بُعَاث، وهُوَ حَرْب كَانَت بَيْن الأَنْصَار، ولَمْ تُرِدِ الغِنَاءَ المَعْروف بَيْن أَهْل اللَّهْو واللَّعب، وقَدْ رَخَّص عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ في غِنَاءِ الأَعْرَاب، وهُوَ صوتٌ كالحُدَاء». انْتهىٰ.

ومَعَ أَنَّ غِنَاءَ الجَارِيَتَين كَانَ مُجرَّد إِنْشَاد، فَقَد اضْطَجع النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ الفرَاش، وتَسجَّىٰ بثوبِهِ، وحَوَّل وَجْهه. وهَذَا أَوْضحُ دليلٍ عَلَىٰ كَرَاهته لذَلكَ، فإِنَّه كَانَ يَكْره الشِّعر. قَالَت عَائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: كَانَ أَبْغَض الحَدِيثِ إِلَيْه.. رَوَاه الإِمامُ أَحْمَد، وأَبُو دَاود الطَّيالسي، وَابْن جَرير، وَابْن أَبِي حَاتِمٍ[(٣)].

وَرُوي عَنْه صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ أَنَّه قَالَ: «**الشِّعْرُ من مَزامير إِبْلِيسَ**»، رَوَاه البيهقيُّ، وغَيْره من حَدِيثِ عُقْبة بن عَامِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ[(٤)].

---

(١) (٣/ ٣٩٢).

(٢) (١٥/ ١٣٧).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ١٣٤) (٢٥٠٦٤)، والطيالسي (٣/ ٩٣) (١٥٩٣)، والطبري (١٩/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم (١٨١٠٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٩٥).

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٤١)، بلفظ: «وَالشِّعْرُ مِنْ إِبْلِيسَ»، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٢٣٩). وقد رواه بلفظ المصنف أبو الشيخ الأصبهاني في «أمثال الحديث» (١/ ٢٩٤) من حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، وإسناده شديد الضعف، فيه عبيد بن

وقَدْ أَقرَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبَا بكرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ تَسْمية الشِّعْر مَزامير الشَّيْطَان كَمَا في حَدِيثِ عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المُتَّفق عَلَىٰ صحَّته(١).

وإِذَا كَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبْغض الشِّعْر المُجرَّد من الغِنَاءِ، ويُسمِّيه مَزامير الشَّيْطَان، فكَيْف يظنُّ به أَنَّه كَانَ يقرُّ الغِنَاءَ ويُبيحُهُ؟!

وكذَلكَ لا يَنْبغي أنَّ يظنَّ بأُمِّ المُؤْمنينَ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها كَانَت تَسْتمع إِلَىٰ الغِنَاء المُحرَّم، وإنَّما كَانَت تَسْتَمع إِلَىٰ ما يَجُوز استماعُهُ من إنْشَاد الأشْعَار بدُون تَلْحينٍ وتَطْريبٍ.

وقَدْ ثبتَ عَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِنْكَارُ الغِنَاءِ، والمَنْع عَنْه، فَروىٰ البخاريُّ في «الأَدَب المُفْرد»، والبيهقيُّ، بإسْنَاد صَحيح عَنْها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنَّ بنات أَخِيها خفضنَ، فألمنَ من ذَلكَ، فَقيلَ لَهَا: يا أُمَّ المُؤْمنين، أَلَا نَدْعو لهنَّ ما يُلْهيهنَّ؟ قَالَت: بَلَىٰ، فأَرْسَلوا إِلَىٰ فُلَان المُغنِّي، فأَتَاهم، فمرَّتْ به عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في البَيْت، فَرأته يَتغنَّىٰ ويُحرِّك رَأْسه طَرَبًا، وكَانَ ذَا شعرٍ كثيرٍ، فَقَالتْ: أُف، شَيْطان، أَخْرجوه، أَخْرجُوه؛ فأَخْرَجُوه(٢).

وهَذَا الحَديثُ يردُّ قَوْل مَنْ زَعَم أنَّ الجَاريَتَين كَانَتا تُغنِّيان بالغِنَاءِ المَعْروف عندَ أَهْل اللَّهو واللَّعب.

وقَدْ قَالَ أَبُو بكرٍ الخَلَّال: أَخْبَرنا مَنْصور بن الوَليد أنَّ جعفرَ بن مُحمَّد حَدَّثهم

=

إسحاق العطار وهو متروك الحديث.

(١) وقد سبق.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٤٢٧) (١٢٤٧)، والبيهقي (١٠/ ٢٢٣) (٢٠٧٩٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩٥٠).

قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْد الله أَحْمد بن حَنْبل: حَديثُ الزُّهْريِّ عَنْ عُرْوة عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَن جَوارٍ يُغنِّين أي شيءٍ هَذَا الغِنَاء، قَالَ: غِنَاءُ الرَّكْب؛ أَتيناكُمْ أَتيناكُمْ[1].

وقَالَ الإِمَامُ أَحْمَد رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ: حَدَّثنا أَسْود بن عامرٍ، حَدَّثنا أَبُو بكرٍ عَن الأَجْلح عَن أَبِي الزُّبير، عَنْ جَابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**أَهْدَيتم الجَارِيَة إِلَىٰ بَيْتها؟**». قَالَت: نَعمْ. قَالَ: «**فَهلَّا بَعثتُمْ مَعَها مَنْ يُغنِّيهم يَقُول:**

أَتَينَــــاكُمْ أَتَينَــــاكُمْ فَحيُّونَــــا نُحيِّــــيكمْ

فَإِنَّ الأنْصَار قَوْمٌ فِيهِمْ غَزلٌ»[2].

ورَوَىٰ أَبُو بَكرٍ الخَلَّال عَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَت عِنْدَنا جاريةٌ يتيمةٌ من الأَنْصَار فَزوَّجْناها رجلًا من الأنْصَار، فكُنْت فيمَنْ أَهْدَاها إِلَىٰ زَوْجها، فَقَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَائشةُ، إنَّ الأَنْصَار أناسٌ فِيهِم غزلٌ، فَمَا قُلْت؟**». قَالَت: دَعَوْنا بالبَركَة. قَالَ: «**أَفَلا قُلْتم:**

أَتينَــــاكُمْ أَتينَــــاكُمْ فَحيُّونَــــا نُحيِّــــيكم

ولَــــوْلَا الــــذَّهب الأَحْمَــــــر مَــــا حلَّــــت بِــــوَاديكمْ

ولَــــوْلا الحبَّــــة السَّمــــــراء لَــــمْ تَسْــمن عَــذَاريكُمْ»[3]

---

(١) رواه الخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١/ ٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩١) (١٥٢٤٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(٣) رواه الخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١/ ٦٨)، وحسنه الألباني في «تحريم آلات الطرب» (١/ ١٣٣).

وروى ابن مَاجه في «سُننه» بإسْنادٍ صَحِيحٍ عَن أَنس بن مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مرَّ ببَعْض المَدينَة، فإِذَا هُوَ بجَوارٍ يَضْربن بدُفهنَّ، ويتغنَّين، ويَقُلْن:

نَحْـن جـوارٍ مـن بنـي النَّجَّـار   يـا حبَّـذا مُحمَّـد مـن جَـار

فقَالَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اللهُ يَعْلم أنِّي لأحبكنَّ**»(١).

وَرَوىٰ الإمَام أَحْمدُ، والبخاريُّ، وأَهْل السُّنن إلَّا النَّسَائي، عَنْ خَالد بن ذكْوان قَالَ: قَالَت الرَّبيعُ بنتُ مُعوِّذ بن عَفْراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: جاءَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَدْخل حينَ بنيَ عَليَّ، فَجَلس عَلَىٰ فرَاشي كمَجْلسك منِّي، فَجَعلتْ جُوَيْريات لنَا يَضْربنَ بالدُّفِّ، ويَنْدبن مَنْ قُتل من آبَائي يَوْم بدرٍ، إذْ قَالَت إحْدَاهنَّ: وفينَا نبيٌّ يَعْلم ما في غدٍ، فقَالَ: «**دَعي هَذِهِ، وقُولي بالَّذي كُنْت تَقُولينَ**»(٢). قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وزَادَ ابْنُ مَاجَه في آخِرِه: «ما يَعْلم مَا في غَدٍ إلَّا الله».

وَروىٰ الطَّبرانيُّ في «الأَوْسط»، و«الصَّغير»، عَنْ عَائشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مرَّ بنسَاءٍ من الأنْصار فِي عُرْس لهنَّ، وهُنَّ يُغنِّين:

وَأَهْـدَىٰ لهـا كبشًـا   تَبَحْـبح فِـي المربـدِ

وزَوْجـك في النَّـادي   ويَعْلـم مَـا في غَـدِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٥٤١).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢) (٥١٣٣)، والبخاري (٤٠٠١)، وأبو داود (٤٩٢٢)، والترمذي (١٠٩٠)، وابن ماجه (١٨٩٦).

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَعْلَم مَا في غَد إلَّا اللهُ**»(١). قَالَ الهَيْثميُّ: رجالُهُ رجالُ الصَّحيح. وقَدْ رَواه الحَاكمُ في «مُسْتَدركِهِ»(٢) بنحْوه، وقَالَ: صحيحٌ عَلَىٰ شَرْط مُسْلم، ولَمْ يُخرِّجاه، وَوَافَقه الذَّهبيُّ في «تَلْخيصه».

وهَذَا الَّذي ذَكَرناه وَمَا أَشْبَهه هو الَّذي كَانَ الصَّحَابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يترخَّصون فيه، وَفِي سَمَاعه في أيَّام الأَفْرَاح؛ كالأَعْيَاد والأَعْرَاس، وأما الغِنَاءُ المَعْروف عندَ أَهْل اللَّهو واللَّعب وهُوَ ما يُطْلق عليه اسْم الغِنَاء في زَمَاننا، فقَدْ كَانوا يَذمُّونه، ويَمْنعون منه. وقَدْ ذَكَرت أَقْوالهم في ذَلكَ في كِتَابِي «فَصْل الخطَاب في الرَّدِّ عَلَىٰ أَبِي تراب»، فَلْتُرَاجع هُنَاك.

قَالَ الحَافظُ أَبُو الفَرَج ابْنُ الجَوزيِّ: رُوِّينا عَن الشَّافعيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: أَمَّا اسْتِمَاع الحُدَاء، وَنَشيد الأَعْرَاب فَلَا بأسَ بِهِ(٣).

قَالَ ابْنُ الجوزيِّ: ومن إِنْشَاد العَرَب: قَوْل أَهْل المَدينَة عندَ قُدُوم رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَينَا ... مِن ثَنِيَّاتِ الوَدَاع
وَجَبَ الشُّكرُ عَلَينَا ... مَا دَعَا لله دَاع

قَالَ: وَمِنْ هَذَا الجِنْسِ كَانوا يُنْشدون أَشْعَارهم بالمَدينَة، ورُبَّما ضَرَبوا عَلَيه بالدُّفِّ عندَ إِنْشَاده(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٦٠) (٣٤٠١)، و«الصغير» (١/ ٢١٤) (٣٤٣).

(٢) (٢/ ٢٠١) (٢٧٥٣).

(٣) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٠).

(٤) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠٠).

ثمَّ ذَكَر أنَّ مِنْ هَذَا الجِنْسِ ما في حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا فِي قصَّة الجَارِيَتَين اللَّتين كَانَتا تُغنِّيان عندَها بغِنَاءِ بُعَاث.

ثمَّ ذَكَر حَديثَ عَائشَةَ، وَحَديث جَابر رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا في إهْدَاء الجَاريَة إِلَىٰ زَوْجها. ثمَّ قَالَ: فقَدْ بَانَ بمَا ذَكَرنا ما كَانُوا يُغنُّون به، وليسَ ممَّا يُطْرب، وَلَا كَانَت دُفُوفهنَّ عَلَىٰ ما يُعْرف اليَوْم(١). انْتهَىٰ.

وإِذَا عُلِمَ هَذَا، فَمِنَ الخَطإِ الوَاضح قيَاس غِنَاء أَهْل هَذِهِ الأَزْمَان عَلَىٰ ما كَانَ الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ يَترخَّصون فِيهِ فِي أَيَّام الأَفْرَاح مع عِظَمِ الفَرق بَيْن الجِنْسَين، وكيفَ يُقَاس ما يستفزُّ العُقُول، ويُفْسد القُلُوب، ويُنْبت النِّفاق فيها، ويصدُّ عن ذِكْرِ الله، وَعَن الصَّلَاة عَلَىٰ ما ليسَ كَذَلك، لقَدْ ضلَّ مَنْ قَالَ بهَذَا القيَاس الفَاسد، وبَعُد عن الصَّواب غَايةَ البُعْد.

الوَجْه الرَّابع: أَنَّه قَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه نَهَىٰ عن الغِنَاءِ، وسَمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، وَقَرَنه بالنِّيَاحَة، وأَخْبَر أَنَّه مَلْعونٌ في الدُّنيا والآخرَة، وَقَرن اسْتحلَالَه باسْتحلَال الزِّنا، والخَمْر، ولُبْس الحَرير في حقِّ الذُّكُور، وقَدْ تَقدَّمت الأَحَاديثُ بذَلكَ، وإِذَا كَانَ الأمرُ فِي الغِنَاءِ ما ذَكَرنا، فكَيْف يظنُّ بالنَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّه رَخَّص فيه؟! هَذَا تناقضٌ ينزَّه عنه آحَاد العُقَلاء فضلًا عن الشَّارع الحَكيم.

الوَجْه الخَامسُ: أنْ يُقَالَ: إنَّ ما كَانَ أَحْمقَ فَاجرًا ملعونًا في الدُّنيا والآخرَة، فَإِنَّ الشَّريعةَ لا تَأْتِي بالرُّخصة فيه أبدًا، ومَنْ زَعَم أَنَّ الشَّريعةَ جَاءَت بالرُّخْصة فِيهِ، فقَدْ غَلط عَلَىٰ الشَّريعة.

---

(١) «تلبيس إبليس» (١/ ٢٠١).

الوَجْهُ السَّادس: أنَّ الغِنَاءَ يُطْلق عَلَىٰ خَمْسة أنْوَاع كَمَا تَقدَّم إيضاح ذَلكَ:

الأوَّل: رَفْع الصَّوت ومُوَالاته.

وَالثَّانِي: «النَّصْب» بفَتْح النُّون، وسُكُون الصَّاد المُهْملة، وهُوَ التَّرنُّم.

وَالثَّالث: الحُدَاء.

وَالرَّابع: إنْشَاد الأَشْعَار، وهَذِهِ كُلُّها جَائزةٌ.

وَالخَامسُ: مَا يَكُون فِيهِ تَمْطيطٌ، وَتَكْسيرٌ، وتَلْحينٌ، وتطريبٌ، وهَذَا هُوَ الغِنَاءُ المُحرَّم، وهُوَ الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر المَلْعون فِي الدُّنيا والآخرَة.

وهَذَا النَّوْع هُوَ المَعْروف عند أَهْل الغِنَاءِ في زَمَاننا، وهُوَ الَّذي يَسْتعملُهُ أَهْل الإذَاعَات والتَّسْجيل، وغَيْرهم من المَفْتونين بصَوْت الشَّيْطَان ومَزَاميره.

ومَنْ قَاسَ هَذَا النَّوع المَلْعون عَلَىٰ الأنْوَاع الجَائزة، واستدلَّ عَلَىٰ جَوَازه بجَوَازها، فقَدْ أبْعَد النَّجْعة، وَنَادىٰ عَلَىٰ كَثَافة جَهْله، وهُوَ كمَنْ قاسَ المَيتة عَلَىٰ المُذكَّاة، والرِّبا عَلَىٰ البَيع، والتَّحْليل المَلْعون فَاعله عَلَىٰ النِّكاح الصَّحيح، وشَرَاب الخَمْر عَلَىٰ الأَشْربَة المُبَاحة، وغَيْر ذَلكَ من الأَقْيسَة الفَاسدَة الَّتي يَسْتعملها مَنْ قلَّ نَصيبُهُ من العِلْمِ والإيمَان.

الوَجْه السَّابع: أنَّ غِنَاءَ الجَوَاري في زَمَن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَوْعان:

أَحَدُهُما: إنْشَاد الأَشْعار من غَيْر تَلْحينٍ، وَلَا تَطْريبٍ، وهَذَا هو الَّذي فَعَلته الجَاريَتان عندَ عَائشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهَا في يَوْم العِيدِ، وأَقرَّه النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَالنَّوْع الثَّانِي: رَفْع الصَّوت، ومُوَالاته بقَوْل:

أَتَينَــــــاكُمْ أَتَينَــــــاكُمْ فَحيُّونَـــــــا نُحيِّـــــيكمْ

وهَذَا هو الَّذي أَذِنَ فيه النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للجَوَاري، وسمَّاه غِنَاءً، وليسَ هو مثل غِنَاءِ المُخنَّثين، ومَنْ يَحْذو حَذْوهم في التَّلْحين والتَّطْريب، وإنَّما أُطْلق عَلَيه اسْم الغِنَاءِ من أَجْل رَفْع الصَّوْت ومُوَالاته، وقَدْ تقدَّم عن الأَصْمعيِّ أَنَّه قَالَ: كلُّ مَنْ رَفَع صَوْته وَوَالاه فصوتُهُ عندَ العَرَب غِنَاءٌ.

وإِذَا عُلِمَ هَذَا، فَالاسْتدلَالُ بقَوْل: «**أَتينَاكُمْ أَتينَاكُمْ**»، وما أَشْبَهه ممَّا رُوي عن جَوَاري الصَّحَابة، عَلَىٰ جَوَاز غِنَاءِ أَهْل الإذَاعَات، وَمَا أَشْبَهه من الأَغَانِي، لَا يَقُول به إلَّا مَنْ هُوَ من أَجْهل خَلْق الله، وأبْعَدهم عَن الصَّوَاب.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وَاحْتجُّوا بحَدِيثِ عَبْد الله بن أُوَيس ابْن عمِّ مالكٍ، قَالَ: مرَ النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بجاريةٍ في ظلٍّ فارعٍ وَهِيَ تُغنِّي:

هَــــلْ علـــــيَّ وَيْحكـــــم إنْ لَهـــوتُ مـــــن حَـــرجْ

فقَالَ النَّبيُّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا حَرَج إنْ شَاءَ اللهُ**»(١) ...».

فَجَوَابُهُ من وَجْهَين:

أَحَدُهُما: أنْ يُقَالَ: هَذَا حديثٌ لَا يصحُّ؛ لأنَّه مُنْقطعٌ، والمُنْقطعُ ليس بحُجَّةٍ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر (١٢/ ٤١٥) من حديث ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، وقال الألباني في تخريج أحاديث «أداء ما وجب» (١/ ١٥٠): باطل.

وأيضًا، فإنَّ المُحْتجِّين به لَمْ يَذْكروا مَنْ خَرَّجه من أَهْل الحَدِيثِ حَتَّىٰ ينظرَ في رُوَاته، فَلَعلَّهم ممَّن لا يُوثَق بهم.

الوَجْه الثَّانِي: لَوْ قَدَّرنا صحَّة هَذَا الحَدِيثِ، فليسَ فِيهِ حُجَّة لأَهْل الغِنَاءِ؛ لأنَّ غِنَاءَ الجَارية ولَهْوها من جِنْسِ ما رخَّص فيه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجَواري، وليسَ هُوَ من جِنْسِ غِنَاءِ المُخنَّثين، ومَنْ يَحْذو حَذْوَهم من أَهْل الإذَاعَات والتَّسْجيل، وَمَا أَشْبَه ذَلكَ من الغِنَاءِ الَّذي يَستفزُّ العُقُولَ، ويُفْسدُ القُلُوبَ، ويُنْبت النِّفاق فيها، ويصدُّ عن ذِكْرِ الله، وعن الصَّلَاة.

وَلَا يَجُوز قيَاسُ هَذَا النَّوْع عَلَىٰ ما رخَّص فيه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجَوَاري، وَلَا الاحْتجَاج بجَوَاز النَّوع المُرخَّص فيه عَلَىٰ جَوَاز هَذَا النَّوْع المُحرَّم؛ لما بَيْن النَّوْعين من التَّباين.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «فَلَا حَرَج إِذًا عَلَىٰ عمرَ أَنَّ يَهْوىٰ الغِنَاءَ، ويَصْبو إِلَيْه، وَلَا يَغْتمز ذَلكَ فيه، ولا ينقصُ من دينِهِ وفَضْله».

فَجَوابُهُ من وَجْهين:

أَحَدُهُما: أَنْ يُقَالَ: لَوْ أَنَّ عمرَ بن عَبْد العَزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- هَوَىٰ الغِنَاءَ، وَصَبا إِلَيْه، لغمزَ ذَلكَ فيه، ونقصَ من دينِهِ وفَضْله، كَمَا غمزَ الغِنَاء في الَّذينَ هَوَوه، وَصَبَوْا إِلَيْه.

وَقَدْ قَدَّمنا عَن الإِمَام مَالِكٍ أَنَّه سئلَ عمَّا يترخَّص فيه أَهْل المَدينَة من الغِنَاءِ

فَقَالَ: إنَّما يفعلُهُ عِنْدنَا الفُسَّاق. وَكَذا قَالَ إبْرَاهيمُ بن المُنْذر الحزاميُّ، وهُوَ من عُلَماء أَهْل المَدينَة المُعْتبرين.

وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ في صِفَةِ عبَادِهِ المُتَّقين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾. قَالَ مُحمَّد بن الحنفيَّة: الزُّورُ: اللَّهوُ والغِناءُ. وقَالَ مُجَاهدٌ: لَا يَسْمَعون الغِنَاءَ. وقَالَ ثَعْلبٌ: الزُّورُ هَهُنا مَجَالسُ اللَّهو. وقَالَ الزَّجَّاجُ: قيلَ: الزُّور هَهُنا مَجَالسُ الغِنَاءِ.

وَفِي هَذِهِ الآيَة الكَريمَة دَليلٌ عَلَىٰ أنَّ الغِنَاءَ يغمز في أَصْحَابه، وينقصُ من دِينِهِمْ. وقَدْ ثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه نَهَىٰ عن الغِنَاءِ، وسمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجر، وأَخْبَر أَنَّه ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة، وفي هَذَا دليلٌ عَلَىٰ أنَّ الغِنَاءَ يغمزُ في أَصْحَابه، وينقصُ من دِينِهِمْ.

الوَجْه الثَّانِي: أَنَّه قَدْ تَقدَّم في أوَّل هَذِهِ النُّبذة ما ثَبتَ عن عُمَرَ بن عبد العَزيز - رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- من ذمِّ الغِنَاءِ، وإنْكَاره، وفِيهِ ردٌّ لمَا يتوهَّمه مَنْ قلَّ علمُهُ من أنَّ عُمَرَ -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- كَانَ يَهْوىٰ الغِنَاءَ، ويَصْبو إلَيْه.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وليسَ ببِدْعٍ أنْ يَهْفو عمرُ إِلَىٰ الغِنَاءِ، ويشْرب فُؤاده حُبَّه، وهُوَ قَدْ نَشَأ في بيئةٍ غِنَائيَّةٍ فيَّاضة بالأَلْحَان والإيقَاع، مُفْعمة بحُذَّاق المُغنِّين والمُغنِّيات».

فَجَوابُهُ من وُجُوهٍ:

أَحَدُها: أنْ يُقَالَ: قَدْ ثبتَ عَنْ عُمَرَ بن عَبْد العَزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- أَنَّه كَانَ

يذمُّ الغِنَاءَ، ويُنْكره أشدَّ الإنْكَار، ومَنْ كَانَ كذَلكَ، لا يظنُّ به أَنَّه كَانَ يَهْفو إِلَىٰ الغِنَاءِ؛ فضلًا عن أنْ يشْربَ فُؤاده حُبه، ومَنْ ظنَّ هَذَا بأَمِيرِ المُؤْمنين، فقَدْ ظنَّ به ظنَّ السُّوء.

الوَجْه الثَّانِي: أنَّ عُمَرَ -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- قَدْ نَشَأ عند أبِيهِ، ولَمْ يُعْرف عن أَبِيهِ أَنَّه كَانَ يميلُ إِلَىٰ الغِنَاءِ والمُغنِّين. وكَانَ عمُّه عَبْد المَلك شَديدَ الذَّمِّ للغِنَاءِ. قَالَ أَبُو يُوسُف: حَدَّثنا إبْرَاهيمُ بن المُنْذر الحزاميُّ عن أَبِيهِ أنَّ عبدَ المَلك بن مَرْوان قَالَ: قبَّح اللهُ الغِنَاءَ، ما أَوْضَعَه للمُرُوءة! وأَجْرَحه للعِرْضِ، وأَهْدَمه للشَّرَف، وأَذْهَبه للبَهَاء.

وإِذَا عُلِمَ هَذَا، فقَوْلُ صَاحب «النُّبذة»: إنَّ عمرَ بن عَبْد العَزيز قَدْ نَشأَ في بِيئَةٍ غِنائيَّةٍ؛ كذبٌ لَا أَصْلَ لَهُ.

الوَجْهُ الثَّالثُ: أنَّ عُمَرَ -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- كَانَ منذ صغرِهِ حَريصًا عَلَىٰ العِلْمِ والأَدَب، وكَانَ قد جَمَع القرآنَ وهُوَ صغيرٌ.

قَالَ الزُّبيرُ بن بكَّار(١): حَدَّثني العتبيُّ قَالَ: إنَّ أوَّل ما استبين من رُشْد عُمَر بن عَبْد العزيز حرصُهُ عَلَىٰ العِلْمِ، ورغبتُهُ في الأَدَب، وذَلكَ أنَّ أَبَاه وَلِيَ مصرَ وهُوَ حَديثُ السِّنِّ يشكُّ في بُلُوغه، فأَرَاد أَبُوه إخْرَاجَه معه إِلَىٰ مصرَ من الشَّام، فقَالَ: يَا أَبَت، أَوَ غَيْر ذَلكَ لعلَّه يَكُون أنْفَع لي ولَكَ. قَالَ: وَما هُوَ؟ قَالَ: ترحلنِي إِلَىٰ المَدينَة، فأَقْعد إِلَىٰ فُقَهائها، وأَتأدَّب بآدَابِهِم، فعندَ ذَلكَ أَرْسَله أَبُوه إِلَىٰ المَدينَة، وأَرْسَل مَعَه الخدَّام، فَقَعد مَعَ مَشَايخ قريشٍ، وتَجنَّب شَبَابهم، وَمَا زَالَ ذَلكَ دأبهُ حَتَّىٰ اشتهرَ ذكرُهُ، فلمَّا مَاتَ أَبُوه، أَخَذه عمُّه أميرُ المُؤْمنين عبد المَلك بن مَرْوان، فَخَلطه بوَلَده، وقَدَّمه عَلَىٰ كثيرٍ منهم، وزَوَّجه بابنتِهِ فَاطمَةَ.

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ١٣٧).

قَالَ العتبيُّ: ولَمْ يَكُن حَاسدُ عُمَر بن عَبْد العَزيز يَنْقم عَلَيه شيئًا سوَىٰ التَّنعُّم والاخْتيَال في المِشْيَةِ.

وقَالَ الضَّحَّاك بن عُثْمان الخزاميُّ: كَانَ أبُوه قَدْ جَعَله عندَ صَالح بن كَيْسَان يُؤدِّبه، فلمَّا حجَّ أبُوه، اجْتازَ به في المَدينَة، فَسَأله عَنْه، فقَالَ: ما علمتُ أَحدًا الله أعْظَم في صَدْره من هَذَا الغُلَام.

وَرَوىٰ ابْنُ أَبِي خَيْثمة[1] عَنْ دَاود بن أَبِي هند قَالَ: دَخَل عَلَينا عمرُ بن عَبْد العَزيز من هَذَا البَاب -وأَشَار إِلَىٰ بَابٍ من أبْوَاب مَسْجد النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- فقَالَ رجلٌ من القَوْم: بَعَث الفاسقُ لنَا بابنِهِ هَذَا يتعلَّم الفَرَائض والسُّننَ، ويَزْعم أَنَّه لن يموتَ حَتَّىٰ يَكُون خليفةً، وَيَسير سيرةَ عُمَر بن الخَطَّاب.

قَالَ دَاودُ: واللهِ ما ماتَ حَتَّىٰ رَأَيْنا ذَلكَ فيه.

وإِذَا كَانَ عُمَرُ بن عَبْد العزيز -رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ- منذُ صِغرِهِ مقبلًا عَلَىٰ العِلْمِ والأَدَب، ومُجَالسة المَشَايخ، ومُجَانبة الشُّبَّان، فكيفَ يظنُّ به أَنَّه كَانَ يَهفو إِلَىٰ الغِنَاءِ، ويحبُّه حبًّا شديدًا.. هَذَا بهتانٌ عظيمٌ.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وقَدْ سَبقت المَدينةُ سَائرَ المُدُن الإسْلَاميَّة إِلَىٰ الغِنَاءِ، وَشَاع اللَّهوُ والقَصْفُ بَيْن أَهْلها».

فَجَوابُهُ أَنْ يُقَالَ: إنَّما شاعَ اللَّهوُ والقصفُ في فُسَّاق أَهْل المَدينَة، لا في

(١) في «تاريخه» (٢/ ٨٩٣) (٣٧٧٢).

خِيَارهمْ، كَمَا هو مَعْلومٌ عندَ أَهْل العِلْمِ بالأخْبَار. وقَدْ تقدَّم عن الإِمَام مالكٍ أَنَّه سئلَ عمَّا يترخَّص فيه أَهْلُ المَدينَة من الغِنَاءِ، فقَالَ: إنَّما يفعلُهُ عندَنَا الفُسَّاق. قَالَ الحافظُ ابْنُ رجبٍ، وكَذا قَالَ إبْرَاهيمُ بن المُنْذر الحزاميُّ، وهو من عُلَماء أَهْل المَدينَة المُعْتَبرين.

فصل

وأَمَّا قَوْله: «وهَذِهِ شذرةٌ تُصوِّر لَكَ الحَيَاة الغنائيَّة بالمَدينَة في ذَلكَ العَهْد، وتُريك أَنَّ حياةَ المَرَح واللَّهو والطَّرَب كانَتْ تُسَاير فيها حَيَاة الفِقْهِ والحَدِيثِ والوَرَع والتَّقْوىٰ جنبًا لجنبٍ».

فجَوَابُهُ أنْ يُقَالَ: إنَّ مُسَايرةَ حَيَاة المَرَح واللَّهو والطَّرب لحَيَاة الفِقْهِ والحَدِيثِ والوَرَع والتَّقوىٰ لَيْسَتْ بحُجَّةٍ عَلَىٰ جَوَاز المَرَح والغِنَاءِ واللَّهو والطَّرب.

ولَمْ يَزَل الفُسَّاقُ من أَوَّل الأَمْر يُسَايرون المُتَّقين جنبًا لجنبٍ، ولَمْ يكنْ ذَلكَ دَليلًا عَلَىٰ جَوَاز أَفْعَالهم السَّيِّئة، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾[السجدة: ١٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾[الإسراء: ٣٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[لقمان: ٦].

وقَدْ فَسَّر ابْنُ مسعودٍ، وابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرُ واحدٍ من التَّابِعِين لَهْو الحَدِيثِ بالغِنَاءِ(١)، وَحَلف ابْن مَسْعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ ذَلكَ ثَلَاث مَرَّاتٍ(٢).

وثَبتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه نَهَىٰ عن الغِنَاءِ، وسَمَّاه الصَّوت الأَحْمَق الفَاجِر، وأَخْبَر أَنَّه ملعونٌ في الدُّنيا والآخرَة، وهَذَا يدلُّ عَلَىٰ تَحْرِيم الغِنَاءِ، والتَّشْديد فيه، وفي ذَلكَ ردٌّ عَلَىٰ مَنْ رامَ التَّرخيصَ فيه بالشُّبَه البَاطلَة.

فصل

وأمَّا ما ذَكَره عن الإِمَام مَالكٍ أَنَّه غنَّىٰ، وَسَمع ذَلكَ منه حُسَين بن دحمان الأَشْقَر، فهُوَ كذبٌ عَلَىٰ مالكٍ.

وقَدْ قَدَّمنا أنَّ صَاحبَ «الأَغَانِي» غَيْر مَوْثوقٍ بنقْله؛ لأَنَّه شيعيٌّ ومُتَّهمٌ بالكَذِبِ.

وأيضًا، فحُسَين بن دحمان الأَشْقَر مجهولٌ، لا يُدْرىٰ مَنْ هو، فلا يُعْتَمد عَلَىٰ نَقْله، وكذَلكَ من نقلَ ذَلكَ عن حُسَين لا يُدْرىٰ مَنْ هُمْ، فهَذَا خَبرٌ سَاقطٌ مردودٌ.

ويَكْفي في ردِّه ما رَوَاه الإِمَامُ أحمدُ عن إسْحَاق بن عيسىٰ الطباع، قَالَ: سألتُ مَالكَ بن أنسٍ عمَّا يترخَّص فيه أَهْل المَدينَة من الغِنَاءِ، فقَالَ: إنَّما يفعلُهُ عندنا الفُسَّاق(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٤٣٢) (١٢٦٥)، وقال الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٩٦٠): صحيح الإسناد موقوفًا.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٥) (٣٥٤٢) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (٢٠٤).

فصل

وأمَّا قَوْله: «وَمِلَاكُ القَوْل أنَّ عمرَ بن عبد العزيز نَشَأ في ظلال هَذِهِ الأَريكَة الفَيْنانة، وَسَمع بَلَابلها المُغرِّدة، وأَطْيَارها المَرنة، وَوَهَب اللهُ له حنجرةً مُوسيقيَّةً، فَشَدا وَلَحن، وتَغنَّىٰ وترنَّم».

فَجوابُهُ أنْ يُقَالَ: هَذَا كذبٌ عَلَىٰ عُمَر بن عَبْد العَزيز رَحِمهُ اللهُ تَعَالىٰ؛ لأنَّه قد ثَبتَ عنه ذمُّ الغِنَاءِ، والإنْكَار عَلَىٰ مَنْ يفعلُهُ، وقَدْ تقدَّم بيانُ ذَلكَ في أوَّل هَذِهِ النُّبذة، فَلْيُراجع، واللهُ المُسْتَعان، وهُوَ حَسْبنا ونِعْمَ الوَكيل.

وصلىٰ الله عَلَىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إِلَىٰ يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

حرره الفقير إِلَىٰ الله تعالىٰ

حمود بن عبد الله التويجري

في ٢٣/ ١٢/ ١٣٨٥ هـ